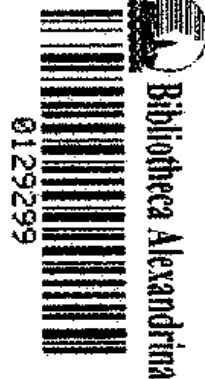


زياد بن علي

و مشروعية الثورة عند اهل البيت عليهم السلام

الشيخ نوري حاتم



زيط بن علي

ومشروعية الثورة عند أهل البيت عليه السلام

الشيخ نوري حاتم

زياد بن علي

ومشروعية الثورة عند أهل البيت عليهم السلام

الغدير
للدراسات والنشر
بيروت - لبنان



أشرف على إعداد هذا الكتاب
مركز الغدير للدراسات الإسلامية

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الثانية

بيروت: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م



حارة حريك - شارع دكاش - بناية فضل الله ورضا - بلوك (ب) - الطابق الاول

ص.ب: ٥٠ - ٢٤ - خليوي ٦٤٤٦٦٢ (٠٣)

بيروت - لبنان

مقدمة المركز

يسر مركز الغدير للدراسات الإسلامية أن يضيف إلى سلسلة بحوثه ودراساته هذه الدراسة ويقدمها إلى قرائه الكرام عن الشهيد زيد بن علي عليه السلام وثورته في وجه السلطة الأموية الغاشمة . ورغم تعدد المؤلفات التي تناولت شخصية زيد وثورته بالدراسة والتحليل فقد جاءت دراسة المؤلف الفاضل هذه ، جديدة في نتائجها ومعطياتها ، وذلك بفضل تمكنه من مصادر مادته العلمية ، ومنهجه العلمي في معالجة هذه المادة وتحليلها .

ويحمد المركز للمؤلف أيضاً التزامه بخطه الفكري الذي يتوخى تعريف المسلمين بحقائق العقيدة الإسلامية ، وتاريخ رجالها ، ورموزها الرساليين ، واستجابته للملاحظات التي أبداهها المركز على مشروع هذه الدراسة في تكوينه الأول . سائلاً الله تعالى أن يوفقه للمزيد من العطاء العلمي النافع .

مركز الغدير للدراسات الإسلامية



تقديم بقلم :

العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين
لقد تعودنا من الكتاب والباحثين في تاريخهم حياة الشخصيات الفاعلة
والمؤثرة في حياة الشعوب والأمم اعتمادهم طريقة ومنهج الدخول الى حياة
الأشخاص ، من نافذة الاحداث ، والظواهر ، التي تعكس مزاياهم
وخصائصهم أفراداً وشخصيات فذة ، ونادرة تستحق أن تكون موضع
اعجاب وتقدير ، ومن ثم أسوة وقدوة ، أو أن تكون ملفتة للنظر ، ومثيرة
للعجب والاستغراب ، ومن ثم موضع تأمل ، وفكرٍ وعبرة .
وإذا ما تجاوز فريقٌ منهم هذا المنحى ، فلا يتعدى التاريخ لاحداث
صنعتها تلك الشخصيات أو أثرت فيها ، ويحاول تفسيرها وتحليلها من
خلال بعض ما اكتشفه لها من عوامل وظروف ، ثم ما عرفه لها من نتائج
وأثار قريبة ، وظاهرة في كثير من الأحيان .

ولم يكن ثمَّ استثناء في ما يرتبط بشخصية زيد بن علي زين العابدين، فلقد تعودنا من الكتاب والباحثين أيضاً معالجة حياته رضوان الله تعالى عليه، من خلال مظاهر البطولة، والتضححية، والفداء التي تجلّت في شخصيته، مع التركيز على ماله من خصائص ومزايا أخلاقية فاضلة، وصفات حميدة ونبيلة، تجلعه في موقع الشخصية النادرة والفذة، والمؤهلة لأن تكون أسوة وقدوة، ليكون رقماً آخر يضاف إلى نماذج أخرى فريدة ومتميزة حفل التاريخ بكثير منها عبر عصوره المختلفة.

وإذا ما أردنا أن نلتفت إلى آثار هذا المنحنى في معالجة حياة الأشخاص العظماء، فلسوف نكتشف أنه قد ساهم ولا يزال في إيجاد الظروف الملائمة لخلق ارتكاز عضوي في الوجدان العام، يتبلور في طموحات الناس وتوجهاتهم على صعيد الرفض، أو الانتماء إلى الأشخاص، وتبني حركتهم، وأسلوبهم، ومواقفهم بالاضافة إلى التخلي عن ... أو التحلي بالخصائص أو المزايا التي يملكونها، وغير ذلك من أمور، ولكن على أساس فردي، يرتبط بالشخصية ذاتها، وبها من قيود، وحدود، تؤكد فيه كيانها المنفصل والمستقل والمحدود بحدود الزمان والمكان وغير ذلك.

ونحن، وإن كنا نعتقد أن دراسة أية شخصية لا بد أن تبدأ من خلال دراسة ماله من خصائص، ومزايا فردية، وكذلك من خلال فهم الأحداث والظواهر، التي تعاملت معها وأثرت أو تتأثر بها؛ لأن ذلك أمر حيوي وأساسي، ويشكل حجر الزاوية لأي دراسة يمكن أن تكون مفيدة وواقعية، إلا أن من الواضح أن ذلك ليس هو كل شيء، ولا هو النقطة الأخيرة التي

ينتهي البحث بها أو إليها .

بل لا بد للدراسة، لكي تكون موفقة، وواقعية، وكافية، من أن تقوم على أساس نظرة شمولية، ومستوعبة، ترى في الانسان مرآة تعكس كل آفاق الحياة ورحابها، وتجمع في حجمها الصغير كل هيكلية الوجود المترابطة في عين تشتتها، والمجتمعة في عين تفرقتها ... وهي الصورة التي يرسمها لنا القول المأثور:

وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ولا بدع في ذلك؛ فهذه العين تستوعب الاشياء المختلفة، وتحفظ بها، بمالها من خصائص ومزايا، متباينة في ظاهر الامر، دون أن تستأثر بواحد منها دون الآخر، ولا أن تتصرف في أي منها على حساب غيره .
وواضح أن ذلك الذي ذكرناه لا يختص بالشخصية التي تجسدت فيها خصائص ومزايا ايجابية، وخيرة، وإنما هو ينسحب على غيرها أيضاً، مادام هذا السلب إنما يأتي في موضع ذلك الايجاب، وهذا النفي يكون لعين ذلك الاثبات .

وهكذا، فإن استيعاب وشمولية النظرة في دراسة شخصية زيد يصبح أمراً لا بد منه، ولا غنى عنه، مادام أن شخصيته نفسها تستقطب في ارتباطاتها وتفاعلاتها - كما في اهدافها، وطموحاتها - كل تجليات الحياة، ومظاهر الوجود في الكون الأرحب، الذي أراد الله سبحانه أن يسخره لهذا الانسان ليتخذ منه وسائله وادواته، التي تمكنه من أن يبني حياته الهادفة زاخرة بالخير والعطاء، وعامرة بالهدى والبركات .

فشخصية زيد بن علي السجاد ليس لها حدود يمكن أن تفصلها عما يحيط بها، وانما هي انطلاقة النور الغامر، ووجيب حركة الكون العامر، تغمر الكون بالعطاء، وتمده بالهدى، وتفيض عليه الوجود. ذلك النور، الذي يستغرق كل شيء، ويستغرق فيه كل شيء، ويشيرُهُ، ويتفاعل معه، في حيوية وبهاء، وفي جنان وصفاء.

ان شخصية زيد بن علي، الذي هو قبس من جده الحسين، ومشكاة من والده السجاد، لا بد أن تدرس على أساس انها ومضة النور الالهي الدافق، الذي تشرق به حنايا الوجود لتشير منه كوامنه، ويختزن في داخله النموذج الحي للتجربة الواقعية للاسلام الصافي، بكل مفاهيمه، وتعاليمه، واهدافه ومراميه، في نطاق الارادة الالهية، التي تؤهل هذا الانسان لحمل الامانة، بعد أن يصبح نموذجاً للانسان الذي يملك خصائصه الانسانية الحقيقية ليعيش انسانيته في نطاق الامتداد الواقعي للحياة الحقيقية والباقية، بعد تخليصه من كل مظاهر الزيف، والتمويه، وازاحة الحجب، وازالة كل الموانع والعراقيل، التي تعترض سبيل تفاعله مع الحياة بصورة واقعية وحقيقية، وبكل ما يملك من طاقات ووسائل ﴿وإن الدار الآخرة لهيَ الحَيَوَانُ﴾ ومن هنا فإننا إذا أردنا تقييم حركة زيد في خروجه في وجه الحكم الأموي الظالم والمنحرف فلا بد أن نسجل أنه في حين يصح أن نطلق على بعض الحركات اسم (ثورة) فإن حركة زيد هذه تأتي إباءً شديداً عن أن تدخل في نطاق هذه الكلمة، كلمة (ثورة) أو أن تخضع لمعاييرها.

وانما التعبير الأدق الذي يستطيع أن يستوعب معانيها ودلالاتها،

بملاحظة مالها من بعد إيماني عميق، كان له التأثير المباشر والفاعل على مالها من مرامٍ واهداف - إن التعبير الادق هو أنها «حركة جهادية» تتصل بالله، وتنتهي إليه، وتنطلق من وعي عميق، تجذّر في ضمير حيٍّ، لإنسان عرف معنى الحرية والعبودية، ومارسهما، فكراً، وإيماناً، وسلوكاً، وموقفاً، حينما تحول هذا الوعي إلى طاقة، تفجرت بركاناً، يحرق كل مظاهر الزيف والتمويه، ويلتهم كل زبارج الباطل وبهارجه، ليحولها إلى رماد أسود تذرّوه الرياح.

نعم، إنها الحرية الكاملة، التي تحفظه من أن يستذله عاتٍ أو جبار، وأن تقهره رغبة، أو شهوة ... إلى جانبها العبودية لله، والله وحده لا شريك له، الخضوع له والفناء فيه.

فحركة زيد ليست ثورة، وإنما هي جهاد، وشتان ما بين الجهاد والثورة؛ فان بينهما فروقاً كبيرة وكثيرة، مادام أن الجهاد، وليس الثورة، باباً من أبواب الجنة، فتحة الله لخاصة أوليائه دون كل من سواهم. ولا بد فيه بعد احراز الركائز الأساسية للإيمان واليقين من أن ينطلق من ساحة الرضا الالهي، إلى آفاقه الرحبة، التي لا يرى فيها سوى الله سبحانه والله وحده، ولتكون الإرادة الالهية هي التي تهيم على كل حركة، وتفرض نفسها في كل موقف وتتجسد على كل صعيد ... وانى للثورة أن تكون كذلك، لافي أهدافها، ودوافعها، ولا في أيٍّ من مراحلها المختلفة، أو اسلوب عملها، وسائر ما يرتبط بها أو ينتهي اليها.

وهذا موضوع مهم ودقيق، لا بد من التوفر عليه، تنقيحاً، وتوضيحاً،

في فرصة أخرى، نسأل الله سبحانه أن يتيحها لنا بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى.

أما بالنسبة لهذا الكتاب الذي بين يدي القارئ، والذي تكفل بمعالجة حياة زيد الشهيد رضوان الله تعالى عليه، من خلال الأحداث التي عايشها أو عالجها وكان له تأثير مباشر فيها فاننا لانريد أن ندعي، بملاحظة ما قدمناه، إن المؤلف الاخ حجة الاسلام الشيخ نوري حاتم قد استوعب فيه كل الظروف، وجميع مايمكن أن يمس حياة زيد الشهيد، أو قد تؤثر في حركته الجهادية، فلربما يكون قد فاته شيء من هذا أو من ذلك، أو منهما معاً، وذلك امرٌ طبيعي بالنسبة لامر واسع ومترامي الاطراف، ومتشعب ومتداخل مع كثير من الحالات والظروف والمؤثرات القريبة والبعيدة على حد سواء.

كما أننا لانريد أن نقول: إننا نوافق المؤلف في كل ما أورده فيه، حرفاً فحرفاً، وكلمة فكلمة، فقد نختلف معه في الرأي أحياناً في بعض النقاط التي ليست اساسية في البحث، ولاضير في ذلك ما دمنا نرى أن له كل الحق وملء الحرية، كما هو الحال بالنسبة لكل مؤلف وباحث، في أن يقدم نظرياته واستنتاجاته من دون أن يتأثر بموافقة هذا، أو مخالفة ذلك. وذلك هو ما يؤكد قيمة الكتاب، ويستدعي تقديرنا واحترامنا للآراء التي وردت فيه ... ولكننا نقول: إن النجاح كل النجاح إنما يتجلى حين يرسم الانسان لنفسه هدفاً، أو خطة، ثم تؤدي جهودُهُ ثمارها بالوصول إلى ذلك الهدف، وبالعمل على وفق تلك الخطة المرسومة، ولاجل ذلك، فإن هذا الكتاب لا بد أن يعتبر محاولة ناجحة، مادام أنها لم تقصر عن الوفاء بالمهمة، وتحقيق

تقديم □ ١١

الغاية، والهدف، الذي بذلت من أجله المحاولة وعلى أساسه كان العمل .
هَذَا، بالإضافة إلى أنه يقدم مادة تكاد تكون مستوعبةً للاحداث التي
احتفظ لنا بها التاريخ حول شخصية زيد، وحركته الجهادية المباركة، مع
تحليل واع وهادف، يتناسب مع المستوى الذي لوحظ في الكتاب، ورسم
العمل فيه على أساسه .

أما أسلوب الكتاب، فهو على العموم واضح، وهادئ، تتجلى فيه
لمحات جمالية ترتاح لها النفس، ويتطلبها الذوق، ولا يرهق القارئ بتركيب
معقدة تستنفد طاقته، وتستأثر بتوجهاته، ولتؤثر، من ثم، على مستوى
استفادته من المحتوى الذي يراد له أن يصل إليه، ويحصل عليه .
فلمؤلف الكتاب حينا وجهده المشكور الذي بذله تقديرا، ونسأل الله
تعالى له التوفيق والسداد .

والحمد لله وصلاته على عباده الذين اصطفى .

جعفر مرتضى العاملي

الثالث من شهر رمضان المبارك

سنة ١٤٠٨ هـ

المقدمة

هزّ الحكم الأموي بعد شهادة الامام الحسين عليه السلام في عام (٦١) هـ سلسلة ثورات شكلت تحديات حقيقية لوجوده السياسي، ومنها ثورة زيد بن علي (رض) التي قامت بذات الدور الرسالي المشرق، الذي مارسه ثورة الحسين عليه السلام.

وإذا كانت ثورة زيد لم تنجح في إسقاط الحكم الأموي في ظرفها التاريخي، فهي بلاشك منحت الأمة روحاً جهادية، ونسفت حواجز الخوف في نفوس أبناء الأمة.

من هنا ينبغي دراسة هذه الثورة، ومعرفة ظرفها، وأسبابها وأحداثها، ونتائجها، وحيث إن العصر الذي عاش فيه زيد يشكل عنصراً ضرورياً في فهم الثورة، فلا بد من دراسة الفترة التاريخية الواقعة بين عامي (٦١ - ١٢٢) هـ، كما لا بد من دراسة الملامح العامة لشخصية زيد، لكي تتوضح أسباب الثورة، وأتجاهها العام.

وبودي هنا أن أسجل شكري، وتقديري للعلامة السيد جعفر مرتضى
العاملي الذي تفضل بقراءة أصول الكتاب، وزاد تفضلاً حين كتب مقدمة
لكتابنا هذا، فله الشكر على ما بذل، وكثر الله أمثاله من العلماء العاملين.

نوري حاتم

١٣ / محرم الحرام / ١٤٠٨

قم المقدسة

الفصل الأول

شخصية زيد

ولد زيد بن علي عليه السلام في المدينة المنورة. أبوه الامام علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام، وأمه من بلاد السند.

والكثير من المراجع والمصادر لم يثبت سنة ولادته، كما اختلف في سنة شهادته. فقد أورد ابن الاثير في الكامل شهادته في أحداث عام (١٢٢ هـ)^(١)، وكذلك الدينوري^(٢) وابن الجوزي^(٣) والطبري^(٤). وفئة من المؤرخين ذكروا أنه استشهد في عام (١٢١ هـ) ومنهم ابن الاثير في تاريخه، فبعد أن أثبت وفاته سنة (١٢٢ هـ)، كتب: «وقيل سنة وفاته عام (١٢١ هـ)». وأورده الشيخ الطوسي في جملة أصحاب الامام زين العابدين واصحاب الامامين الباقر والصادق عليهم السلام وكتب:

«زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام أبو الحسين، تابعي

(١) الكامل في التاريخ / ج ٥ / ص ٢٤٢.

(٢) جهاد الشيعة / ص ٥٢.

(٣) تذكرة الخواص / ص ٣٠١.

(٤) تاريخ الامم والملوك / ج ٨ / ص ٢٧١.

قتل سنة احدى وعشرين ومئة وله اثنتان واربعون سنة^(١).

اما الشيخ المفيد فإنه كتب في إرشاده:

«وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة عشرين ومئة وكان

سنه يومئذ اثنتين واربعين سنة^(٢).

اما ابن عساكر في تاريخ دمشق فقد قال: «إن سنة ولادته (٧٨ هـ)^(٣).

واذا كان الامر كذلك فإن سنة شهادته مرددة بين عام (١٢١ هـ) كما

ذهب الشيخ وبعض المؤرخين، وبين عام (١٢٢ هـ) كما ذهب ابن الاثير

وغيره. وعلى هذا الاساس يمكن تحديد سنة ولادته بين عام (٧٩ هـ) وبين

عام (٨٠ هـ)، وذلك بقريئة أن عمره يوم شهادته بلغ الاثنتين والاربعين سنة

كما اشار المفيد والطوسي وغيرهما الى ذلك.

عاش مع أبيه السجاد عليه السلام خمسة عشر عاماً أو يزيد، وبعد استشهاد

الامام السجاد عليه السلام عام (٩٥ هـ) كفله أخوه الأكبر الامام الباقر عليه السلام، فهو

ربيب الباقر عليه السلام، عاش في رحاب عطفه وحنانه بعد استشهاد أبيه، واغترف

العلم والتقوى من نبعه الفياض.

ولقد توافرت لزيد مائدة أهل البيت السخية، فهو ابن هذا البيت

الطاهر، فتح عينيه على ينابيع العلم والتقوى، والقيم الخلقية الرفيعة، فقد

اغترف من منهل أبيه الزاخر بالتقوى والاخلاص والخشوع والعلم بالكتاب

(١) مجمع الرجال للقهائي / ج ٣ / ٨٣.

(٢) الارشاد / ص ٢٦٩.

(٣) زيد بن الامام علي بن الحسين عليه السلام / هامش ص ١٢.

والشريعة، مدة خمسة عشر عاماً، ثم عاش في رحاب الامام الباقر عليه السلام تسعة عشر عاماً ينهل من علومه ومعارفه، حتى بلغ الغاية في العلم والمعرفة، وكان (رض) يناقش ابناء الحسن (جعفر بن الحسن بن الحسن) ومن بعده (عبد الله بن الحسن بن الحسن) في أوقاف علي بن ابي طالب عليه السلام وكيلاً عن ابناء الحسين عليه السلام.

وكان زيد يطوف على بعض رؤساء المذاهب والتيارات الاخرى، كواصل بن عطاء، لمناقشتهم في مسائل العلم، بعد أن استوعبها من مصدرها الاصيل، ويبين لهم موقع أئمة اهل البيت ودورهم في حفظ الاسلام والامة.

وكان بليغاً فصيحاً الى جانب علمه، فقد كتب هشام بن عبد الملك الى يوسف بن عمر يصف زيدا:

«وقد قدم زيد بن علي أمير المؤمنين (يقصد نفسه) في خصومة فرأى (أي هشام) رجلاً جديلاً لساناً حوَّلاً قلباً خليقاً بصوغ الكلام وتمويهه، واجترار الرجال بحلاوة لسانه وكثرة مخارجه في حججه، وما يدلي به عند الخصام من العلو على الخصم بالقوة المؤدية الى الفلج»^(١).

وكان زيد بن علي عابداً خاشعاً لله، تالياً كتابه. فعن عاصم بن عبيد الله العمر قال:

«أنا أكبر منه رأيته بالمدينة وهو شاب يذكر الله عنده، فيغشى عليه حتى

(١) انساب الاشراف / الجزء الثالث / ص ٢٣٨.

يقول القائل: ما يرجع من الدنيا»^(١).

وقال محمد بن أيوب الرافقي:

«كانت المرجئة وأهل النسك لا يعدلون بزید أحدًا»^(٢). وعن محمد بن الفرات قال: «رأيت زيد بن علي وقد أثر السجود بوجهه أثراً خفيفاً»^(٣). وكان يصوم كل شهر ثلاثة أيام، وكل سنة ثلاثة أشهر، وكان يسمى حليف القرآن.

ويتحدث زيد عن نفسه لأبي قرّة:

«والذي يعلم ماتحت وريد زيد بن علي أن زيد بن علي لم يهتك لله محرماً منذ عرف يمينه من شماله»^(٤).

وبكلمة موجزة، كان زيد مثلاً للشخصية الإسلامية الملتزمة التي جمعت المعرفة إلى جانب العبادة، والخشوع، والتبتل وإلى جانب الوعي السياسي، والاجتماعي.

لقد ضمَّ الإمام الباقر عليه السلام زيداً إلى أسرته بعد وفاة أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام وكفله وغذاه بالعلم والحنان، ورعاه وهو يشق طريقه في خضم الحياة، وسط خضم التيارات الفكرية والموجات السياسية الصاخبة، حتى كمل بناؤه الفكري والأخلاقي. وكانت علاقة زيد مع الإمام

(١) مقاتل الطالبين / بإشراف وتقديم كاظم المظفر / ص ٨٧.

(٢) المصدر السابق / ص ٨٧.

(٣) المصدر السابق / ص ٨٧.

(٤) زيد الشهيد / ص ٢٠.

الصادق عليه السلام علاقة متينة؛ فهو عم الصادق، ومن أترابه ومن خريج مدرسة أبيه الامام الباقر عليه السلام. وكان زيد يكن احتراماً عظيماً لابن اخيه الامام الصادق عليه السلام ^(١).

إن معالم شخصية زيد مستمدة من ملامح الشخصية المتميزة لأهل البيت وخطهم السياسي والعقائدي والاجتماعي، حيث سارَ في حياته طبق تلك المبادئ الربانية، والثورية حتى في أصعب مراحل ثورته وذلك حين عرض عليه عبيد الكوفة المشاركة في الثورة فرفض ذلك احتراماً لحق ساداتهم، كما رفض عرض نساء الكوفة المشاركة في الثورة ^(٢) رغم ان بعضهن قُمنَ بمحاكمة والي الكوفة يوسف بن عمر امام الناس بعد شهادة زيد، وأُثبتنَ بطلان موقفه.

فالحديث عن شخصية زيد يعني الحديث عن أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تربية المجتمع على القيم الثورية الاسلامية الاصيلة. ولاشك أن معرفة شخصية الثائر لا تكفي لمعرفة اتجاه واهداف الثورة واهدافها، اذ لابد من دراسته عصر الثورة وأحداثها السياسية والتاريخية، والعسكرية، لأن ذلك يشكل هدفاً مستقلاً بذاته ضمن دراسة تاريخنا الاسلامي، ولانه الظرف الذي حدثت فيه الثورة من جهة اخرى.

(١) زيد الشهيد / ص ٢٣ .

(٢) لعل ذلك بسبب ان العادة لم تجرِ على المرأة في حمل السيف، أو لانه بعدُ لم يستيقن من حاجته اليهن .

الفصل الثاني

الملاح العامة لعصر الثورة

لكل ثورة جذور تاريخية، وأسباب تتصل بالماضي القريب، ومن أجل دراسة ثورة زيد (رض) لابد من استعراض أهم الاحداث التاريخية التي برزت في النصف الثاني من القرن الهجري الاول، واكتشاف اتجاه الاحداث، وطبيعة الحكم، وموقف أئمة اهل البيت عليهم السلام من تلك الاحداث وذلك ضمن الفقرات التالية:

أولاً: طبيعة وخصائص الحكم الاموي.

ثانياً: ولادة ونشوء المذاهب الفكرية والسياسية.

أولاً: طبيعة الحكم الاموي وخصائصه

لقد استولى معاوية بن أبي سفيان على السلطة عام (٤٠ هـ)، بعد استشهاد الامام امير المؤمنين عليه السلام، وبعد اتفاقية الصلح التي أبرمها مع الامام الحسن بن علي عليه السلام، لاسباب فرضت على الامام موقف الصلح. ومنذ ذلك التاريخ دخل العالم الاسلامي ظرفاً تاريخياً ساداً، حيث حدثت

الاسرة الاموية ان تمسح هويته الاسلامية، وانتهجت اسلوباً منحرفاً في عملية نقل السلطة، وفي التعامل مع الجماهير الاسلامية.

ويمكن دراسة معالم الحكم الاموي ضمن الفقرات التالية:

أ - طبيعة الحكم الاموي واتجاهه.

ب - الصراعات السياسية على السلطة.

ج - حقيقة الفتوحات العسكرية.

الف - طبيعة الحكم الاموي واتجاهه:

منذ بداية الدعوة الإسلامية مارست الاسرة الاموية موقف المناوئ للرسالة، وشنت حملات التشكيك والطعن بأفكار الرسالة، واثارت الفتن في وجه الدعوة، وقادت المعارك ضد المسلمين. ولم يُسلم أقطاب الامويين إلا بعد فتح مكة، فهو إسلام مَنْ لا يجد مخرجاً غير التجاوب مع الدين الجديد الذي دخل فيه الناس افواجا، فلم يكن أيمانها ناشئاً عن قناعة وتسليم لأفكار الرسالة، بقدر ما كانت مجاراةً للوضع السياسي التي تمخض عن فتح مكة المكرمة.

فقد كانت الاسرة الاموية العدو الاول للإسلام حتى فتح مكة عام (٨هـ)، أي حاربت الرسالة زهاء عشرين عاماً. وكانت هذه الفترة كافية لثبات الاختيارات، وتحديد هوية هذه الاسرة وأشخاصه.

كتب ابن الاثير بشأن إسلام ابي سفيان عن لسان العباس بن عبد

المطلب:

«غدوت به (اي بابي سفيان) على رسول الله ﷺ، فلما رآه قال: ويحك يا ابا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله؟ قال: بلى بابي أنت وامي يارسول الله، لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً. فقال: ويحك، ألم يأن لك ان تعلم اني رسول الله؟ فقال: بابي أنت وامي اما هذه ففي النفس منها شيء. قال العباس: فقلت له: ويحك، تشهد شهادة الحق قبل ان تضرب عنقك؟ قال: فتشهد...»^(١).

فتحت ضغط السيف والفتح المبين أسلم معاوية كما اسلم أبوه، وظلت الشخصية الاموية، وسلوكها الجاهلي، بعيدة عن تأثيرات الرسالة، الا انها اكتست قشرة اسلامية، تنطوي تحتها العقلية الاموية، حيث «تميزت لبني أمية في الجاهلية وصدر الاسلام خلائق عامة يوشك ان تسمى لعمومها بينهم خلائق اموية، وهي تقابل مانسميه في عصرنا بالخلائق الدنيوية او النفعية، ويراد بها: أن المرء يؤثر لنفسه ولذويه ولا يؤثر عليها وعليهم في موطن الايثار»^(٢).

وهذه الاخلاقية، والموقف العدائي من الدين ظل مشهوداً في مواقف الشخصيات الاموية التي توالت على الحكم، واذا كان دهاء معاوية دفعه الى لف شخصيته الجاهلية بغطاء من الشعارات الاسلامية، فإن الحكام الآخرين لم يجدوا حرجاً في خلع (العباءة الاسلامية)، فهذا يزيد يتمثل علناً بشعر القائل:

(١) الكامل في التاريخ / ج ٢ / ص ٢٤٥.

(٢) كتاب «معاوية بن ابي سفيان» / ص ٣٧٣.

«لَعِبَتْ هَاشِمٌ بِالْمَلِكِ فَلَا خَبْرُ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ»

وينشد الوليد بن يزيد بن عبد الملك في شعره قائلاً:

«يَأْيُهَا السَّائِلُ عَنْ دِينِنَا نَحْنُ عَلِيُّ دِينَ أَبِي شَاكِرٍ
نَشْرِبُهَا صَرْفًا وَمَمْرُوجَةً بِالسُّخْنِ أَحْيَانًا وَبِالْفَاتِرِ»^(١)

وينشد أيضا:

«فَاصْطَحَبْنَا مِنْ خَمْرِ عَانَةٍ صَرْفًا وَلَهُوْنَا بِقَسِينَةٍ عِرَافَةٌ»^(٢)

ومما أشتهر عنه انه فتح المصحف فكانت الآية:

«وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ»

فأنشد شعره المشهور، وهو يرمي المصحف بالسهام:

«تُهَسِّدُنِي بِجَبَّارٍ عَنِيدٍ فَهِيَ أَنَا ذَاكَ جَسَارٌ عَنِيدٌ
إِذَا مَا جِئْتُ رَبَّنَا يَوْمَ حَشْرِ فَحَقْلُ يَارِبٍ مَسْرُقِنِي الْوَلِيدُ»^(٣)

وإذا كان أبو سعبان قد أسلم خوفا على حياته، ولم يكن إيمانه قائما على الاقتناع الحر، فإن معاوية وظف هويته الإسلامية المربطة للوصول للسلطة، وفرض لونا من الفكر الجاهلي، احد بئس بين الافكار الرسالية، كما سعى نحد للنصاء على رموز، وقد داد الفكر الاسلامي الاصل، تقتله محسد من ابي بكر، وعمار بن ماسر، وحجر بن عدي، وعديهم من

(١) انكامل في التاريخ ج ٥ ص ٢٦٥ - سار كنه لسلام بن عبد الملك

(٢) المقصد ص ٢٦٩

٣ الدرر ص ٢٥

قيادات ورجالات الاسلام .

وحرص الامويون على خلق التيارات الفكرية التي اتصلت بالفكر الجاهلي ، كـ : « طائفة المرجئة التي ظهرت في دمشق مركز حكم الامويين بتاثير العوامل المسيحية خلال النصف الثاني من القرن الاول الهجري . وكانت العقيدة الاساسية عند المرجئة عدم تكفير أي إنسان مهما ارتكب من المعاصي الموجبة للكفر وغيرها ، مادام قد اعتنق الاسلام ونطق بالشهادتين ، تاركين الفصل في أمره لله ، وآراؤهم هذه تتفق تماماً مع رجال البلاط الاموي ومن يلوذ به .

وبزوال الدولة الاموية أقل نجم المرجئة ، ولم تصبح بعد حزباً مستقلاً»^(١)

وبالاضافة إلى عملية خلق المذاهب الفكرية والسياسية التي ترسخ دعائم الحكم الاموي ، نشط هذا البيت في حجب الاحاديث والروايات التي تدين تصرفاتهم ، كما شجع على اختلاق الاحاديث عن النبي ﷺ ، فتحدث الرواة بأحاديث غريبة عنه ﷺ ، تتمحور حول فكرة الخضوع للحاكم وحرمة الخروج عليه ، والتعظيم لرجالات بني امية .

وفي ضوء ذلك يمكن تلخيص موقف البيت الاموي من الاسلام بما يلي :

١- اعلان التسليم للرسالة نفاقاً بعد انغلاق المسالك في وجهه للتخلص من الاسلام .

٢- العمل على الازدواج على الفكر الاسلامي والصعود على اكتافه

الى السلطة .

٣- تشويه الفكر الاسلامي ، والقضاء على رجالات الاسلام
المخلصين .

٤- طرح الفكر ، والثقافة الجاهلية في صفوف المجتمع وعلى
الساحة الاسلامية .

وعلى هذا فان بني امية جعلوا الإسلام طريقاً للصعود الى السلطة ،
حيث استقطبت السلطة اهتمامهم منذ الجاهلية . وكانوا يرفضون الدخول في
مشاريع سياسية أو اجتماعية لا تحقق هدفهم في السلطة ، فلم ينضموا الى
حلف الفضول الذي طرح فكرته الهاشميون ، وقاطعوا هذا الحلف «بل كان
الرجل منهم يود ان يدخله فيخشى ان يُحسب خارجاً على قومه ، وقال
أحدهم (وهو) عقبه بن ربيعة : لو ان رجلاً وحدهُ خرج على قومه ، لخرجت
من عبد شمس حتى أدخل حلف الفضول»^(١) .

ويرتقي معاوية المنبر ويخطب بأهل الكوفة قائلاً :

«يا أهل الكوفة ، أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج؟ وقد
علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون ، ولكني قاتلتكم لاتامر عليكم وألي
رقابكم ، وقد آتاني الله ذلك وانتم كارهون . ألا إن كل دم أصيب في هذه
مطلول وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين»^(٢) .

وقال سعيد بن العاص :

(١) معاوية بن ابي سفيان / ص ٢٧٥ .

(٢) ثورة الحسين عليه السلام / ص ٧٥ .

طبيعة الحكم الاموي واتجاهه □ ٣١

«إنما السواد (العراق) بستان لقريش ماشتنا أخذنا منه وماشتنا تركناه»^(١)
وهو بذلك يردد كلمات معاوية :

«المال مال الله وأنا خليفة الله ، فما شئتُ أخذتهُ ، وما تركتهُ فهو جائز لي» .

لقد كانت حركة البيت الاموي تسير في هذا الاتجاه وكانت جميع نشاطاته - وفي جميع اشكالها - تسعى للحصول على مكاسب سلطوية، فأبو سفيان حين خرج ابو بكر من السقيفة خليفة للمسلمين ذهب الى علي بن ابي طالب عليه السلام ، واخذ يغريه بالخروج على حكم السقيفة بالسيف ويعرض عليه المساعدة، كما ان معاوية لم يهب لمساعدة عثمان في اثناء محاصرة الشوار منزله، رغم انه كان بمقدوره ذلك، ثم بعد ان يُقتل يطالب علياً بتسليم قتلة عثمان له ! .

إن هدف افراد البيت الاموي الاساس هو الظفر بالسلطة، رغم انهم لا يملكون مؤهلات الخلافة التي ترفعهم الى تولي السلطة باسلوب نظيف، لذلك استخدموا جميع الوسائل المتتوية للوصول الى السلطة، او لتركيـز دعائم حكمهم .

وقد استطاع معاوية خلال الفترة التي قضاها والياً في دمشق في عهدَي عمر وعثمان ان يصوغ عقلية الشاميين على وفق سياسته الخاصة، فأقتطع الشام - سياسياً - عن مركز الخلافة وحارب الخليفة الشرعي : علي بن ابي طالب، الامر الذي يشير الى حجم الجهود التي بذلها معاوية، لتربية

(١) ثورة الحسين عليه السلام / ص ٤١ .

الشاميين على الولاء المطلق له، ولنسمعه وهو يقول في وصيته ليزيد حول اخلاقية أهل الشام التي خلقها بنفسه:

«وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن رأيت من عدوك شيئاً فاتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم؛ فإنهم ان قاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم»^(١).

وبعد أن ظفر معاوية بالسلطة شنَّ حملة هوجاء على الفكر الاسلامي الشوري، وعلى رجالاته، وسعى في طرح المفاهيم الفكرية التي ترسخ سلطانه وفي هذا المجال يقول عبد الله بن صالح: «قيل لمعاوية: اي الناس احب اليك؟ قال: اشدهم لي تحبباً للناس»^(٢).

ويقول عبد الله بن عمير: «اغلظ لمعاوية رجل فاكثر، فقيل له: اتحلم عن هذا؟ فقال: إني لا أحولُ بين الناس وبين الستتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا»^(٣).

وكان البيت الاموي يستخدم سياسة إثارة الروح القبلية بين القبائل، وإغراء بعضها ببعض، «كضرب الشيعة بالخوارج، والعرب بالموالي، واليمانية بالقيسية. بل كان يفعل ذلك في صميم البيت الاموي من غير السفيايين»^(٤).

(١) الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٦.

(٢) المصدر نفسه / ج ٤ ص ١٢.

(٣) المصدر نفسه / ج ٤ / ص ١٣.

(٤) علي ومناوئوه / ص ٢١٦.

وكذلك استخدم البيت الاموي سياسة الارهاب والاغراء لتركييع المواليين وجذب المعادين، فقد استطاع معاوية بهذه السياسة ان يجذب الكثير من الرجال المعروفة بالدهاء والذكاء السياسي كعمرو بن العاص وزياد بن ابيه .

وهذا النمط من الفكر والسلوك والمواقف استمر على امتداد تسعين عام من حكم البيت الاموي، ففي ذات مرة دخل زيد بن علي بن الحسين عليه السلام على هشام بن عبد الملك، وكان عنده رجل يسب النبي صلى الله عليه وسلم، فنهره زيد بن علي، فقال هشام:

«مهلاً يا زيد . لا تؤذ جليسينا» !! .

وكان من الممكن لهذا النمط من التعصب والدجل والاحتتيال ان يخلق قيم الرسالة، لولا ثورة الام الحسين عليه السلام وحفيده - من بعده - زيد بن علي (رض)، حيث ايقظتنا الامة، وبثنا في اوصالها الحياة والارادة والتحدي .

إن ذلك النمط الذي انتهجه الحاكم الاموي للوصول الى اهدافه يؤدي الى نهب ثروات الامة وسلب أمن افراد المجتمع فهذا عبد الله بن عامر يقترح على الخليفة الثالث اقتراحاً غريباً لاطفاء الثورة التي اضرمتها اهل مصر ضد عمال عثمان:

«رأبي يا امير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، وان تجمرهم (أي تجمعهم) في المغازي حتى يذلو لك فلا يكون همة احدهم الا نفسه وما هو فيه من دبرة دابته وقمل فروه ...» .

ويقول معاوية لسفيان بن عوف حين أرسله لمداهمة أرض العراق :
«فاقتل من لقيته ممن ليس هو عليّ مثل رأيك، واخرب كل ما مررت به من
القرى وأحرب الاموال؛ فإن حرب الاموال شبيه بالقتل، وهو أوجع
للقلب»^(١).

وبكلمة مختصرة، قامت سياسة البيت الاموي على اساس احتقار افراد
المجتمع الاسلامي، وحرمانهم من حقوقهم، وفرض الضرائب الثقيلة
عليهم، وسوقهم الى ساحات الحروب ضد الامام الشرعي من اهل
البيت ﷺ.

ب - الصراعات السياسية على السلطة :

لعل اهم خصائص الحكم الاموي الذي شغل مساحة اثنين وتسعين
عاماً تقريباً من التاريخ الاسلامي، هي شدة الصراعات السياسية على
السلطة، ذلك النزاع الذي اتخذ اشكالاً وصوراً عديدة.

فرغم ان بعض المؤرخين يرى ان الحضارة الاسلامية تفتحت في ظل
ذلك النظام، واعطت ثمارها في ظل العباسيين، إلا ان الحقيقة هي ان
الجانب الذي اتصل بفاعلية العقيدة ودورها في تغيير الفكر، والعوطف
والسلوك، وذلك الذي اتصل بالقيادة الشرعية طورا الحياة المادية والمعنوية
للمجتمع المسلم، اما سائر جوانب القوة من الحضارة الاسلامية، فإن
صراعات قيادات الحكم الاموي على السلطة قد حجبها وعطلت فاعليتها،

(١) شرح نهج البلاغة/ ج٢ / ص٨٦.

لأنّ النزاع على السلطة يدفع الحياة الاجتماعية باتجاه التعبئة العسكرية المستمرة مما يفوت على الأمة فرص النمو والتقدم الحضاري .
وحيث إنّ بحث ثورة زيد يرتبط ببيان خصائص الحكم، لزم علينا ان نشير الى هذا الجانب بشيء من التفصيل .

١ - صور من الصراعات السياسية :

لقد ضمت الصراعات أطرافاً وعناصر من غير الفرع الاموي، وخاصة بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان، حيث اشتعلت الساحة الاسلامية بالصراعات السياسية على السلطة، واشتدت تلك الاطماع بعد وفاة يزيد، فظهر في مكة عبد الله بن الزبير، الذي سيطر على المدينة والكوفة والبصرة ومصر . وفي داخل البيت الاموي اشتد الصراع بين مروان بن الحكم وخالد بن يزيد بن معاوية وبين عمرو بن سعيد، وكان «النزاع قد احتدم بين عرب الشام بسبب المنافسة بين افراد البيت الاموي، اذ أصبح كلٌّ منهم يطمح في الخلافة ويرى نفسه أحقّ بها من غيره، واستمر النزاع بين انصار بني أمية حتى عقدوا مؤتمر الجابية الذي بايعوا فيه مروان بن الحكم بالخلافة، ثم خالد بن يزيد ثم عمرو بن سعيد بن العاص من بعده»^(١) .
واتسع سلطان ابن الزبير حتى اخترق دمشق عاصمة الامويين على يد الضحاك بن قيس .

(١) تاريخ الاسلام / ج ١ / ص ٢٨٩ .

أما مروان فكان لا يحدث نفسه بالخلافة، لانه يفقد مؤهلاتها إلا ان عبيد الله بن زياد زخرف له ذلك فاستجاب مروان، ودعا لنفسه، بعد ان كاد يبايع عبد الله بن الزبير.

ونجح مروان في اخذ البيعة له، وحارب الضحاك الذي دعا لابن الزبير وقتله في مرج راهط، ثم عاد الى دمشق، وكتب عهده لاثنين من ولده، هما عبد الملك بن مروان، وعبد العزيز بن مروان، على التوالي. فتولى عبد الملك السلطة سنة (٦٥ هـ) وكان عبد العزيز الى جانب عبد الملك في النفوذ والسلطة، حيث «كان عبيد الملك لا يفضل عبيد العزيز بشيء إلا باسم الخلافة، حتى لربما كان عبد الملك يأمر بالشيء فيريد عبد العزيز غيره، ويرى خلافه فيرده الى رأيه ولا يمضيه» وكان عبد الملك يعلق على ذلك: ان عبد العزيز صنو أمير المؤمنين وقد امضينا فعله»^(١).

وهذا يعني أن مروان بن الحكم هو الذي مارس فكرة (الشركة) في الولاية، بعد ان اتبع معاوية أسلوب تولية العهد.

وبذلك اكتسب الحكم الاموي طابعه الثابت من هاتين المبادرتين في نقل السلطة، وظلت هذه الصورة هي السائدة، حتى في ظل حكم الاسرة العباسية التي تولت مقاليد السلطة بعد الاسرة الاموية.

وقد اتبع مروان بنود اتفاقية الجابية الذي نظمه الامويون واقترحوه على مروان بعد ان تخلى معاوية بن يزيد عن السلطة في ذلك المؤتمر، وكانت تلك الاتفاقية تنص على ان يتولى مروان السلطة على ان يكون

(١) تاريخ يعقوبي / ج ٢ / ص ٥٤.

ولي عهده خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد فوافق مروان على ذلك، ولكنه نقض ذلك وجعل ولاية العهد لولديه عبد الملك وعبد العزيز، واستمر هذا النهج حيث جعل عبد الملك ولاية العهد لولديه: الوليد وسليمان على التوالي.

وظل عمرو بن سعيد بن العاص المنافس القوي لعبد الملك، وقد فرض نفسه حاكماً، واتبعه قوم من أهل الشام. فاحتال عليه عبد الملك، ثم استدعاه إلى قصره وقتله وطرح رأسه مع الدنانير، والدرهم من خلف أسوار القصر على أتباعه الذين كانوا ينتظرون خروجه، فبايعوا عبد الملك^(١).

وبعد وفاة عبد الملك تولى الوليد بن عبد الملك مقاليد السلطة طبقاً لعهد أبيه الذي نص على أن يكون سليمان بن عبد الملك ولياً للعهد في خلافة الوليد. «فكان الوليد أراد أن يخلع أخاه سليمان ويبايع لولده عبد العزيز، فابى سليمان فكتب إلى عماله، ودعا الناس إلى ذلك، فلم يجبه إلا الحجاج وقتيبة (بن مسلم) وخواص من الناس. فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم عليه فأبطأ، فعزم الوليد على المسير إليه ليخلعه، وأخرج خيامه فمات قبل أن يسير إليه»^(٢).

وقد بلغت حدة النزاع بين الوليد وسليمان ذروتها، وعزم الأول على خلع سليمان، فكان الذين تابعوا الوليد وأيدوه في مسعاه خشوا موت الوليد

(١) تاريخ اليعقوبي / ج ٢ / ص ٢٦.

(٢) الكامل في التاريخ / ج ٥ ص ١٠.

قبل أن يولي العهد لولده، خوفاً من تولي سليمان السلطة، فقد «مرض الوليد قبل وفاته وأغمي عليه فبقي يومه ذلك كذلك كأنه ميت، فبكوا عليه وسارت البرد»^(١) بموته فاسترجع الحجاج وشدَّ في يده حبلاً إلى اسطوانة وقال: اللهم لاتسلط علي من لارحمة له، فقد طالما سألتك ان تجعل منيتي قبله»^(٢). ويعني بالاول الوليد.

وقد عذب سليمان موسى بن نصير الذي فتح الكثير من البلدان، بسبب ان الاخير عجلَّ المسير إلى الوليد بعد عودته من الفتوحات رغم وصية سليمان له بوجوب التباطؤ عنه حتى يهلك.

ونستخلص من تلك الصور للنظام السياسي الاموي ما يلي:

أ- ان حق تعيين الخليفة الجديد حق خاص يتمتع به الخليفة الفعلي.
ب- ان الخليفة يعين اثنين او ثلاثة أشخاص يتولون الخلافة واحدا بعد الآخر.

ج- ان وليّ العهد لا يشترط فيه مؤهلات قيادية، بل اراد سليمان أن يعقد الولاية لابنه الذي لم يبلغ سن الرشد عند وفاته لولا ان رجاء بن حيوة منعه من ذلك فأقترح سليمان عمر بن عبد العزيز، فمدحه رجاء وصوب اختياره.

ويشرح الماوردي هذه النظرية التي تنص على حق الخليفة في تعيين حاكم أو أكثر من بعده بالقول: «ولو عهد الخليفة إلى اثنين أو أكثر ورتب

(١) جمع بريد وهو جهاز يتولى عملية نقل الرسائل.

(٢) الكامل في التاريخ/ج ٥/ ص ١٠.

الخلافة فيهم فقال: الخليفة بعدي فلان، فإن مات فالخليفة بعد موته فلان. فإن مات فالخليفة بعده فلان جاز، وكانت الخلافة متنقلة إلى الثلاثة على ما رتبها».

ويستدل الماوردي على صحة ذلك بالقول: «عمل بذلك في الدولتين من لم ينكر عليه احد من علماء العصر، هذا سليمان بن عبد الملك عهد إلى ابن عبد العزيز ثم بعده إلى يزيد بن عبد الملك، ولئن لم يكن سليمان حجة في إقرار من عاصره من علماء التابعين، ومن لا يخافون في الحق لومة لائم هو الحجة، وقد رتبها الرشيد في ثلاثة من بنيه في الامين ثم المأمون ثم المؤمن»^(١).

إن الصراعات السياسية تتصل بحق الخليفة في تعيين الحاكم الذي سيخلفه اذ ان الخليفة لا يُعَيَّن شخصاً واحداً، انما يعين اثنين او ثلاثة، فينفجر الخلاف بين هؤلاء الاشخاص وبين خطوطهم الممتدة في العائلة، فينشب الصراع العنيف بين أتباع كل شخص، وقد يكلف الامة الكثير من الدماء كما هو الحال في الدولة الاموية، وفي الصراع العسكري بين الامين والمأمون في العصر العباسي.

٢- جذور الصراع وأسبابه الفكرية والسياسية:

من أهم الدعائم التي اعتمدها الحكم الأموي، وتبعه العباسي، هي الاعتقاد بأن للخليفة حق تسمية الحاكم الذي يليه على المسلمين. واعتقد ان

(١) الماوردي/ الاحكام السلطانية/ ص ١٣.

هذا الجذر الفكري هو الذي فتح باب الصراعات العسكرية بين الاقطاب (الشخصيات) على مصراعيه، وقد عرفنا ان اصل هذا النظام اقتبسه معاوية من بلاد الروم، وحاول ان يستند بذلك على تولية ابي بكر لعمر وتولية عمر لسته من كبار الصحابة .

ومهما يكن الحال فان تطورات كبيرة طرأت على فكرة تعيين أو اقتراح الخليفة من قبل الحاكم الفعلي، من أهمها منح الحاكم الفعلي حق تولية شخصين، أو ثلاثة للحكم بعده، وعدم ملاحظة إمكانات ولي العهد ومؤهلاته. وهنا تكمن الخطورة، ونقطة انطلاق الصراعات السياسية. أما اذا كان اختيار الخليفة الجديد بنص خاص من المعصوم فإن حدة الخلافات ستخف بشكل ملحوظ، اذا لم نقل أنها ستختفي تماماً.

والى جانب الجذر الفكري للصراعات السياسية، هنالك منابع سياسية ساهمت في خلق الصراعات السياسية وهي:

أ- تغييب القيادة الرسالية، وعزلها بالقوة عن ممارسة دورها في قيادة الأمة، اذا لومارست القيادة الشرعية دورها لما برزت الخلافات، لأنها أساساً ناشئة من الطمع بالسلطة أو الاعتقاد بالاولوية، كما حصل في موقف مروان بن الحكم من تولية معاوية يزيد السلطة، فقد رفض ذلك وعابه عليه، حتى ولاء منصب المستشار وولاية مصر. فانصاع له. ١

ب- سيطرة الاطماع والاهواء على أفراد البيت الحاكم، ومن ثم السعي للحصول على السلطة عن طريق القوة من خلال التحالف مع القيادات العسكرية والسياسية، للظفر بالسلطة.

تأثير الصراعات السياسية على الجماهير □ ٤١

ج- ضعف الوعي السياسي لدى أغلب أبناء الأمة، الذي تجلّى في إهمال وظيفتها في الاتصال أو في معرفة القيادة الشرعية والابتعاد عن القيادات الجاهلية .

تأثير الصراعات السياسية على الجماهير :

إن الصراع على السلطة ليس كسائر النزاعات العادية التي تقع بين أفراد المجتمع، أو بين الفئات الاجتماعية، وإنما تؤثر سلباً في حاضر المجتمع ومستقبله، وذلك لأن أطراف النزاع يوظفون ثروة المجتمع، ومكاسبه الحضارية في طريق تحقيق أهدافهم في تولي السلطة، فقد كتب الطبري عن اقتتال الناس بعد تخلي معاوية بن يزيد عن السلطة :

«وأقام الناس بدمشق، وخرج الضحّاك إلى مسجد دمشق فجلس فيه، فذكر يزيد بن معاوية فوقع فيه، فقام إليه شاب من كلب بعصاً معه فضربه بها، والناس جلوس في الحلق متقلدي السيوف، فقام بعضهم إلى بعض في المسجد فاقتتلوا ...»^(١).

وقد عذب الوليدُ عمرَ بن عبد العزيز وغيره لأنه رفض الانصياع لرغبته في جعل ولاية العهد لولده بدل سليمان الذي كان ولياً للعهد بنص أبيه . كما عذب سليمان موسى بن نصير، لأنه لم يطمعه في تأخير عودته إلى دمشق محملاً بالغنائم الحربية النفيسة، وأراد صلبه، لولا أن تدخل عمر بن عبد العزيز في استصدار العفو من سليمان .

(١) تاريخ الأمم والملوك/ج٧/ص٣٦.

ج- طبيعة الفتوحات العسكرية:

ان من الظواهر المهمة التي شهدتها الفترة الاموية، اتساع الفتوحات العسكرية، والتحرك السريع والنشط للسيطرة على بلدان الشمال الافريقي، وهذه الظاهرة بدأت في عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ)، وتقلّصت في ظل سليمان، وتركزت على فتح بلاد جرجان وطبرستان وحصار القسطنطينية، وتوقفت تماماً بأمر من عمر بن عبد العزيز في عهده.

وحين نتناول حركة الفتوحات العسكرية، فمن الضروري ان نتميز بين العمل العسكري الذي يستهدف نشر الرسالة، وأحكام الله، وتحرير الانسان والمجتمع من ظلم الطواغيت، وسيطرة الاوهام، والخرافات، وبين العمل العسكري الذي يرتدي الثياب الاسلامية، ولكنه في جوهره يحرص على تحقيق مكاسب مادية.

وحركة الفتوحات العسكرية في العهد الاموي هي من النوع الثاني إذ لم تستهدف تلك الفتوحات اهدافاً ربانية، حتى على فرض سلامة دوافع القيادات العسكرية، والجنود الذين دخلوا تلك المعارك، لان القيادة التي تصدّت لتوجيه تلك الحركة لم تكن قيادة ربانية، كما هو واضح.

وبشكل ادق نقول: إن التوسع الاسلامي، وانتشار الرسالة حقيقة تفرضها ذات الرسالة، التي تنطوي على الرؤية الاساسية لبناء المجتمع الانساني وكان رسول الله ﷺ قد أكد قبل وفاته على ضرورة ارسال حملة اسامة للفتح الاسلامي. فاصل فكرة هداية الناس ونشر الاسلام لا يمكن

لباحث ان يناقش في وجودها في صلب النظام العقبيدي والسياسي الاسلامي، انما ثمة ملاحظات على القيادة السياسية، وربما العسكرية احياناً، التي مارست العمليات العسكرية، وعلى الاهداف التي توخاها النظام السياسي الاموي من العمليات العسكرية.

فلا بد من التمييز بين الحكم الاموي، وبين طبيعة الفتوحات الاسلامية. فالفتح الاسلامي عملية تمارسها القيادة الشرعية التي استوعبت مفاهيم وقيم الرسالة لانها وحدها تستطيع ان تستوعب جميع الحالات الجديدة التي ترافق الفتح، وكذلك معالجة العقد والعقبات التي تعترضه، في حين ان الامويين نصبوا امام اعينهم اهدافاً مادية أساسية للفتح.

ومن هنا نعرف ان الاشكالات التي رافقت الفتح في بعض اشواطه، كإسلام بعض المدن، وارتدادها، والغدر بالمسلمين، لو واجهت القيادة الشرعية لاستطاعت تجاوزها وافهام أهل المدن المفتوحة حقيقة الرسالة الاسلامية التي تتنافى مع فكرة الاكراه والجبر، والانقياد لغير الله تعالى.

ولنراهم الاهداف التي دفعت الحكم الاموي الى فتح باب الفتوحات العسكرية على مصراعيه، والتي تلخص في النقاط التالية:

١ - إرسال القوات العسكرية الى خارج الساحة الاسلامية، لمنع قيادات المعارضة من الاستفادة من هذه القوات في محاربة النظام، إذ بإمكان المنافسين في داخل البيت الاموي وغيره استغلال هذه القوة، ومحاربة الحاكم، أو محاصرة عاصمة النظام، او حتى اعلان الانفصال عن نفوذه.

وهذا الاحتمال له اهميته لو عرفنا ان الامور في ذلك الوقت لم تستقر لصالح احد المتنافسين بعد، وان الساحة الاسلامية تعجُّ بكبار الشخصيات التي تتمتع بنفوذ تستطيع توظيفه للقيام بعمل ضد النظام. فإرسال تلك القوات يسعى إلى تجميد امكان القيام بتجربة اخرى مشابهة لتجربة عبد الملك الناجحة مع ابن الزبير رغم ان الاخير امتد نفوذه السياسي والعسكري من مكة والمدينة إلى البصرة والكوفة حتى الشام.

٢- الحصول على الغنائم الحربية، فان هذه الفتوحات استهدفت تحقيق مصالح مادية، رغم ان بعض القيسادات العسكرية التي مارست تلك العمليات ربما لم تكن تراودها تلك الاطماع، فالوليد بن عبد الملك حين علم ان موسى بن النصير قد فتح الكثير من البلدان، وظفر بالكثير من الغنائم و«بلغه مسير موسى بن نصير إلى الاندلس ووصفت له، ظن انه يريد ان يخلعه ويقيم فيها ويمتنع بها، وقيل له ذلك، وأبطات كتب موسى عليه لاشتغاله بما هنالك من العدو وتوطيته لفتح البلاد، فأمر الوليد القاضي ان يدعو على موسى اذا قضى صلته، وان موسى لما دخل طليطلة بعث علي بن رباح بفتحها واوقد معه وقد أفسار حتى قدم دمشق صلاة العصر فدخل المسجد فالفى القاضي يدعو على موسى»^(١).

وقد استدعاه الوليد قبيل وفاته ومع الاموال والغنائم ولم يصغ إلى طلب سليمان إياه التريث حتى يموت الوليد وتؤول اليه غنائم الاندلس»^(٢).

(١) الامامة والسياسة / ج ٢ / ص ٧٥.

(٢) المصدر السابق / ج ٢ / ص ٧٥.

فنقم منه سليمان وعذبه عذاباً شديداً بعد وفاة الوليد .

٣- فرض الضرائب على اهل البلدان التي تم فتحها، بالشكل الذي وقر للحاكم اموالاً طائلة ينفقها لاشباع مطامعه الشخصية .

«ففي عهد عبد الملك عمل في خراسان احصاء جديد للسكان عامة، وكلف كل شخص بسداد ما فرض عليه من الضريبة، وزاد جزية كل شخص ثلاثة دنانير على ما كانت عليه من قبل . وكذلك كانت الحال في العراق حيث كانت تزيد الضرائب الاستثنائية في عبء ما كان يثقل كاهل الاهلين من الضرائب المقررة، وقد بين «فون كرىمر» كيف استطاع الحجاج الثقفي ان يرغم حديثي العهد بالاسلام على دفع الضريبة التي يدفعها الكفار، وماتلا ذلك من المقاومة العنيفة التي قاوموه بها، وانضمامهم الى صفوف عبد الرحمن بن الاشعث الذي اشعل نار الثورة على بني امية»^(١) .

ولم تتوقف هذه السياسة الا في عهد عمر بن عبد العزيز، حيث رفع الجزية عن اهل الذمة، و«نقص إيراد بيت المال نقصاً محسوساً، ورأى بعض الولاة عندما نقصت جزية الرؤوس على أثر ازدياد دخول الناس في الاسلام ان يرفع (اي يبقي) الجزية عمن اسلم، فابى عمر ان يستجيب الى هؤلاء الولاة الى ما طلبوه»^(٢) .

هذه اهم الاهداف التي توخاها الحكام الامويون . وهي بشكل عام تمثل الجانب الذي يرتبط بشخص الحاكم وطريقته في قيادة تلك العمليات،

(١) تاريخ الاسلام / ج ١ / ص ٤٧٤ .

(٢) تاريخ الاسلام / ج ١ / ص ٣٣٨ .

وبقدر ما يتصل بهذا الجانب نلمح الطرق الخاطئة، والشكوك التي تخامر قلب الحكام تجاه الولاة والقادة.

بيد أن ما يتصل بهذا الجانب ينبغي ان لا يغيب عن ابصارنا الجوانب الايجابية من تلك الفتوحات التي من أهمها اتساع رقعة النفوذ السياسي للإسلام. وفي الحقيقة ينبغي ان نقول: ان النقاط الايجابية للفتح الاسلامي ناشئة من الجوانب التي تتصل بالعتيدة التي حملها المسلمون. اما النقاط السلبية، فإنها ناشئة من تلك التي تتصل بشخص الحاكم، وادارته، وحجم إيمانه بالرؤية الاسلامية، والتزامه بها عملياً.

فمن الواضح ان الفتح لا يقتصر على توسيع النفوذ السياسي، انما المطلوب نسف عقائد الشرك، والافكار الفاسدة، ومنح الانسان الحريات الكافية لادراك الهدى، وإذا كان القائد ليس بمستوى هذه المعاني، فإن الفتح لن تتم اهدافه بشكل عام كامل.

إن حاكماً كيزيد بن عبد الملك الذي أغرم بالخمير والنساء، والذي مات غمماً على موت (حبابة)، وحاكماً كالوليد بن يزيد الذي اشتهر بالفساد، كفيلا ان يبين ان الحكام الامويين ليسوا بمستوى الفرد الصالح في المجتمع الاسلامي، فضلاً عن أن يكونوا قادة لهذه التجربة العظيمة.

ثانياً: نشوء المذاهب الفكرية والسياسية

شهدت الفترة التي تلت وفاة الرسول ﷺ، وعلى امتداد العصر الاموي، بروز الجذور الاولى للمذاهب الفكرية والسياسية، الا ان دور هذه

المذاهب ظهر بعد العقد الثالث من القرن الهجري الاول .
وقد حرص الحكام الامويون على استغلال هذه المذاهب في تصفية
اعدائهم السياسيين ، ووضعوا نصوصاً تؤيد نهجهم المنحرف الظالم . كما
أنهم اختلفوا اتجاهات مذهبية من اجل تكوين الأطر الفكرية لاضفاء الشرعية
على حكمهم إذ دون ذلك يتعذر تشويه الشخصية الاسلامية ، التي اخذت
صورتها الاساسية من الحياة النبوية القريبة ، والتي لا يزال نسيمها يملا
وجدان الصحابة والتابعين .

ومن هنا ، فقد اتجه نشاطهم نحو خلق المذاهب الفكرية والسياسية ، في
محاولة لتحريف وتشويه الفكر الاسلامي ، وتركيز حكمهم الظالم .
ومن أشهر الطوائف التي اتصلت بالحكام الامويين ، طائفة
«المرجئة»^(١) ، التي طرحت أفكاراً غريبة على الساحة الاسلامية ، كصحّة
ايمان الانسان وإن أعلن الكفر بلسانه ، وانه مسؤول عن أعماله في يوم
القيامة فقط .

وهذه الفكرة تهدف في الحقيقة تشويه الرؤية الصحيحة للانسان المسلم ،
والتي تتلخّص في ضرورة محاربة الظلم والكفر ، وتسليم مقاليد السلطة
لاصحابها الشرعيين .

(١) مرّ «المرجئة» بمرحلتين ، احدهما المرجئة الاولى ، وهم الذين لا يتولون عثمان ولا
علياً ، ولا يحكمون عليهما . وهذه الطائفة جاءت على خلاف رغبة الامويين الذين
يرغبون في تكفير علي عليه السلام ، والايمان بعثمان . اما الطائفة الثانية من «المرجئة»
فيحتاج الحديث عنها الى بحث مستقل .

إن الاختلافات في تفسير بعض الظواهر والجوانب الدينية، ظهرت في صفوف المسلمين، وقامت على أساسها مذاهب بيد أن المشكلة الحقيقية تكمن في اختلاق المذاهب والتيارات بقوة المال والسلاح، وبهدف سياسي منحرف. وهذا ما فعله الأمويون.

من خلال هذا الاستعراض لخصائص الحكم الأموي، يتبين أن انحرافاً عريضاً انتاب نظام الحكم في ظل الأمويين ليمس بعد ذلك المفاهيم الإسلامية لطائفة من المسلمين، ويمس صميم العمل السياسي لغالبية الأمة.

من هنا ندرك السر في عدم قبول الإمام علي عليه السلام نصيحة بعض في إبقاء معاوية حاكماً على الشام برهة من الزمن، ريثما تهدأ الأمور، ثم عزله بعد ذلك، وكذلك في إصرار الإمام الحسين عليه السلام على إعلان الثورة على حكومة يزيد بن معاوية. كما نعرف وزن حديث زيد بن علي ودلالته وهو يبين أسباب ثورته بالقول:

«وإنما خرجت على بني أمية لأنهم قتلوا جدي الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرّة، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار»^(١).

وفي الواقع أن التمزق والتناحر السياسي، والتخلخل الاجتماعي، والقلق الروحي قد بلغ مداه في ظل الأمويين، وظلت الأمة تعاني من هذه الأوضاع الشاذة، إلى أن استطاع العباسيون إسقاط البيت الأموي، وعالجوا جانباً من الإرث الأموي، ولكنهم سقطوا في أخطاء وانحرافات لاتقل في جوهرها عن أخطاء سلفهم.

(١) تاريخ الإسلام / ج ١ / ص ٤٠٦.

الفصل الثالث

دوافع الثورة وأهدافها

القسم الأول

دوافع الثورة

إن الثورة لا تحدث من فراغ، ولا تنطلق من دون هدف محدد، بل هي كسائر الظواهر الاجتماعية الأخرى لها أسبابها، ودوافعها، وأهدافها. وكلما كانت الثورة ذات قيادة واعية، تميزت بصورة واضحة أهدافها وبرامجها.

وعلى أساس هذه الرؤية انطلقت ثورة زيد بن علي، وقد أشرنا في القسم السابق إلى الأوضاع التاريخية التي سبقت الثورة، وفي هذا القسم نحدد دوافع الثورة، وعواملها؛ لأن ثورة زيد ليست حالة ارتجالية، وقراراً فجائياً اتخذه زيد (رض)، بل هي تعبر عن موقف رسالي، وأرادة فذة وقرار شعبي.

وتتلخص هذه الدوافع فيما يلي:

أولاً: تفشي الظلم والفساد في المجتمع الإسلامي.

ثانياً: الاستعداد الشعبي للثورة.

ثالثاً: إمكانات وقدرات زيد على قيادة الثورة.

وقبل دراسة هذه النقاط لابد من بيان ملاحظتين:

الاولى: تتعلق بالفرق بين دوافع الثورة وبين اهدافها .

فالدوافع مجموعة الظروف والامكانيات السياسية، والنفسية التي تشترك في بلورة قرار الثورة، وهي تسبق الثورة في مرحلة زمنية قد تطول او تقصر، اما اهداف الثورة فهي الاغراض الحقيقية التي يسعى قادتها إلى الوصول اليها عبر ممارسة الثورة وان كانت الاهداف قد رسمت في ذهن القائد قبل اشعال الثورة .

ان الاهداف تتحقق غالباً بعد قيام الثورة الا اذا كان القيام بالثورة يمثل بحد ذاته هدفاً اساسياً يتحقق - عادة - قبل القضاء عليها، واخمادها من قبل النظام الحاكم .

الثانية: تتعلق بمراحل الحكم الاموي منذ نشوئه وحتى سقوطه، في ضوء سياسته التي سعت في احياء القيم الجاهلية، وتلك المراحل هي:

- ١- مرحلة النشاط والسعي لنشر الاسس الجاهلية .
- ٢- مرحلة انتشار تلك الاسس، وظهور نتائجها في الساحة الاسلامية .
- ٣- مرحلة اضمحلال وضعف النظام الاموي .

والمرحلة الاخيرة هي نتيجة من نتائج ثورات الامامية المتواصلة، التي عملت على اضعاف النظام الاموي، فجهود اهل البيت عليهم السلام قلصت عمر ذلك النظام، ثم اخيراً، قضت عليه .

لقد تميّزت الفترة الزمنية الاولى من الحكم الاموي، بصفة التكوين للاسس التي صاغت الشخصية الاموية، من خلال صراعها ضد الاسلام حيث تمت صياغة الاسس الجاهلية التي تناقض تعاليم الاسلام .

تفشي الظلم والفساد في المجتمع الاسلامي □ ٥٥

أما الفترة الثانية التي بدأت في تقديرنا بعد وفاة عمر بن عبد العزيز فهي تتصف غالباً بالاذعان العام للنظام الاموي، والخضوع للمخططات الاموية^(١).

فالمرحلة الثانية تمثل الوجه العملي للمرحلة الاولى، وهي فترة قطف الثمار، وإكراه الامة على التسليم بالواقع المنحرف بعد فرضه بالقوة على الجماهير.

وإذا كانت ثورة الحسين بن علي عليه السلام قد نجحت في هز أسس فترة التكوين تلك، فإن ثورة زيد بن علي قد نجحت أيضاً في هز أسس فترة قطف الثمار، وفي بعث الصوت الرسالي الرفض كما سيأتي بيانه أن شاء الله.

بعد هذا لا بد أن نشير الى دوافع ثورة زيد بن علي (رض) وهي كما يلي:

اولاً: تفشي الظلم والفساد في المجتمع الاسلامي

بعد المذابح الرهيبة، سياسات القمع والتجويع، استطاع البيت الاموي السيطرة على السلطة. ولأنه اعتمد على سياسة الترهيب، والاغراء، وعلى أسلوب التضليل، ونشر الباطل، كان من الطبيعي ان يملأ أفق الساحة الاسلامية الجور والظلم والضياع الفكري.

(١) نشير هنا الى ان حركات الخوارج العسكرية هزت النظام الاموي من الاعماق، اما سائر الحركات، فإنها مارست الاساليب السياسية، او الثقافية في معارضتها.

ومن أجل معرفة حجم هذا الظلم الذي حركَ زبداً للقيام بثورته لا بد من الإشارة ألى بعض تلك المظاهر:

١- السعي بجهد لفصل الامة عن مضمون الرسالة، وإيجاد الحواجز الكثيفة للحيلولة دون فهم الرسالة، وتطبيقها في السلوم الاجتماعي.

٢- فصل الامة عن القيادة الرسالية، المتمثلة بأهل البيت (عليه السلام)، من خلال فرض الرقابة على منازلهم، وملاحقة أنصارهم، وتضييق دائرة تأثيرهم.

وهذه السياسة أدت الى ضياع قطاعات عريضة من الجماهير عن الاهتداء بهدي أهل البيت، حيث سيطرت على الناس مذاهب وافكار جاهلية.

٣- تعطيل حدود الله، وإسقاط السنن الاسلامية وممارسة التقاليد الجاهلية.

٤- ممارسة سياسة، ومواقف أدت الى شيوع الصراع بين قبائل المجتمع الاسلامي وافراده، واختلاق مذاهب فكرية منحرفة ساهمت في تنويع اشكال النزاع وتعميمه.

٥- التشجيع على الفساد، واعتباره سلوكاً اجتماعياً مشروعاً، فانتشر في زمان الحكم الاموي وما بعده الغناء والرقص وشرب الخمر.

إن الذي ساهم في رفع درجة قابلية التسليم لذلك الظلم، وشيوع الفساد، هو قبول أصل النظام، وقادته، وخاصة في المرحلة التي أعقبت وفاة عمر بن عبد العزيز. ذلك لان المرحلة الثانية لم تشهد شخصيات رسالية

قوية معارضة (باستثناء أئمة أهل البيت عليهم السلام) كما هو الحال في المرحلة الاولى لحكم الامويين، حيث كانت الساحة الاسلامية تزخر بالشخصيات القوية التي تؤثر في قطاعات واسعة من جماهير الامة الاسلامية، بحكم اتصالها بعصر النبوة، وشدة علاقتها بالامة، كحجر بن عدي، وسليمان بن صرد، وهاني بن عروة، وجابر بن عبد الله الانصاري، وغيرهم من الشخصيات الرسالية التي عاشت في عصر الامامين علي بن الحسين السجاد، ومحمد بن علي الباقر عليهما السلام.

وفي هذا الجو وجدت الافكار المنحرفة طريقها الى الساحة العملية، واعطت ثمارها المرة، وخربت رؤى الجماهير وفسدت عليهم فطرتهم الثورية التي صنعها عصر النبوة. ومن ثم أدت الى نكوص الجماهير عن القيام بالمبادرات الثورية.

إن نصيب أئمة أهل البيت عليهم السلام من هذا الظلم كان كبيراً وذلك لانهم يشكلون المعارضة الحقيقية، والصلبة للنظام، حيث تعمد النظام الى اذياتهم والسخرية بهم فقد نقلت الروايات أن «هشام بن عبد الملك حج في خلافة عبد الملك، فطاف بالبيت فأراد أن يستلم الحجر فلم يقدر عليه من الزحام، فُنصب له منبر فجلس عليه وطاف به أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين عليهما السلام وعليه إزار ورداء، من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم رائحة. بين عينيه سجادة كأنها ركة عنز، فجعل يطوف بالبيت فإذا بلغ الى موضع الحجر تنحى الناس عنه حتى يستلمه هيبة له وإجلالاً، فغاض ذلك هشاماً، فقال له رجل من أهل الشام: يا هشام، من هذا الذي قد هابه الناس

هذه الهيئة، وأفرجوا له عن الحجر؟ فقال هشام: لا اعرفه. لئلا يرغب فيه أهل الشام، فقال الفرزدق وكان حاضراً: لكني اعرفه. فقال الشامي: من هذا يا ابا فراس؟ فقال:

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطائتُهُ والبیتُ يعرفُهُ والحلُّ والحرمُ
هذا ابن خسيرُ عبيدِ اللهِ كلِّهم هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العَلَمُ^(١)

وظل هذا النمط من المعاملة سياسة ثابتة مارسها حكام بني أمية تجاه أهل البيت، بل إن زيدا ذاته عُرِّضَ لهذا اللون من الظلم، ففي حادثة أخرى يذكر أن زيدا قصد «هشام بن عبد الملك، فجعل هشام لا يأذن له، فيرفع إليه القصص، فكلما رفع قصة يكتب هشام في أسفلها: ارجع إلى أميرك. فيقول زيد: والله لا أرجع إلى خالد أبداً. ثم أذن له يوماً بعد طول حبس ورقي عليّة طويلة وأمر خادماً أن يتبعه بحيث لا يراه زيد فسمعه يقول: والله لا يحب الدنيا أحد إلا ذلَّ»^(٢).

وهكذا يتضح أن ظلم الأمويين لم يقتصر على عامة الجماهير، بل كان أئمة أهل البيت عليهم السلام، ورجالاتهم من الذين عُرِّضُوا لأكثَر من ذلك، باعتبارهم مركز الهدى، وعَلَمُ المعارضة، لذلك ذهبت بعض الدراسات إلى أن السبب الأساسي في ثورة زيد (رض) هو تعريضه للإهانة في مجلس هشام، فذهب إلى الكوفة أساساً ليعلن ثورته للمعالجة بعض

(١) اختيار معرفة الرجال / ص ١٢٩.

(٢) الكامل في التاريخ / ج ٥ / ص ٢٣٢. والعلية: هي الغرفة وربما خصصت بما كان فوق.

الدعاوي الاخرى.

وفي الواقع ان اشتداد الظلم، والفساد في تلك الفترة هو الذي دفع زيد بن علي، لإعلان الثورة، فقد «قال ابن عساكر: قال محمد بن عميران: أبو الحسين (زيد بن علي) لما رأى الارض قد طوّقت جوراً ورأى قلة الاعوان وتخاذل الناس كانت الشهادة أحب الميتات اليه»^(١).

ثانياً: الاستعداد الشعبي للثورة:

إن وجود قاعدة شعبية تمثل خطوط عمل وتنفيذ القرار الثوري شرط استراتيجي لإعلان الثورة فالقيادة التي لا ترى وجود قاعدة تعتمد عليها لا تفتح فوهة المواجهة مع النظام الحاكم، إلا إذا كانت ثورة تستهدف هزّ المجتمع، وإلفات نظره الى عمق مفارقة عمل النظام عن الرسالة.

ولقد اعتمد زيد بن علي في قيامه المسلح في بداية حركته على قاعدة شعبية ظن أنها مخلصه في البيعة له، وانها ستواصل الوقوف معه على طول خط المواجهة مع النظام.

وفي الحقيقة لا يمكن الشك في وجود قاعدة شعبية لثورة زيد وذلك لوفرة الأدلة والشواهد التاريخية التي عكست ذلك من خلال الروايات التي سجلت حركة زيد.

صحيح أن أغلب الافراد انسحب من الثورة إما بفعل حصرهم بالمسجد، كما سيأتي في بحث اسباب فشل الثورة، وإما لانهم لمسوا قوة

(١) أبو الحسين زيد الشهيد/ ص ٥٥.

النظام العسكري، فنكص من المعركة.

وصحيح ان زيدا قال ذات مرة:

«فوالله لو لم يكن الا انا ويحيى ابني لخرجت عليه (اي هشام) وجاهدته حتى اقتى»^(١) وقال لداود بن علي حين حاول الاخير منعه عن الخروج الى الكوفة، واعلان الثورة:

«ابن عم كم نصبر لهشام؟ قال داود: نصبر يا ابا الحسين حتى نجد الفرصة. فقال: ابن عم من أحب الحياة ذل»^(٢) لكن زيدا اذكى من ان يقوم بثورة دون غطاء شعبي ووسائل موضوعية تسمح باحتمال الانتصار.

كما ان زيدا اذكى واتقى من ان يقوم بثورة لم يتأكد من شرعيتها، ومطابقتها لقرارات الامام عليه السلام.

فزيد حين قام بثورته لم يتيقن من وجود القاعدة المذهبية والسياسية الموالية لثورته فحسب، بل بايعه الكثير من افراد الامة على المشاركة في الثورة حتى انتشرت اخبارها وظهر المؤيدون له في الموصل، وجرجان، وخراسان، والبصرة، وغيرها من المناطق.

ولكي نتناول مسألة القاعدة الشعبية لثورة زيد ينبغي ان نبحث ذلك ضمن العناوين التالية:

(١) انساب الاشراف (بتحقيق المحمودي) هامش/ج ٣/ ص ٢٣٧.

(٢) انساب الاشراف/ ج ٣/ ص ٢٣٣.

١- الكوفة، القاعدة التاريخية للثورة:

من الثابت تاريخياً ان مدينة الكوفة تنتمي الى خط أهل البيت، وقد نشأ هذا الولاء حين اتخذها الامام علي عليه السلام مقراً سياسياً لحكومته، ثم جعلت الاحداث التي عاشتها الكوفة بعد شهادة علي بن ابي طالب عليه السلام هذه المدينة قاعدة المعارضة الدائمة لنظام الحكم الاموي، فهي المدينة الوحيدة التي زخر تاريخها السياسي بالمواجهة للنظام الاموي، وهذه الصفة كانت ظاهرة ادركها الكثير من الحكام الامويون وسائر فئات المعارضة.

فقد جاء في كتاب لهشام:

«أما بعد، فقد عرفت حال أهل الكوفة في حبهم أهل البيت، ووضعهم أيامهم في غير مواضعهم، لافتراضهم على أنفسهم طاعتهم، ونحلتهم أيامهم عظيم ما هو كائن مما استأثر الله بعلمه دونهم، حتى حملوه على تفريق الجماعة، والخروج على الائمة. وقد قدم زيد بن علي على أمير المؤمنين (يقصد نفسه) في خصومة فرأى رجلاً جِدلاً لساناً، حولاً قلباً خليقاً بصوغ الكلام وتمويه واجترار الرجال بحلاوة لسانه، وكثرة مخارجه في حججه، وما يدلني به عند الخصام من العلو على الخصم بالقوة المؤديه الى الفلج. فعجل إشخاصه الى الحجاز، ولاتدعه المقام (يقصد الكوفة) قبلك من لين لفظه وحلاوة منطقه»^(١).

ويقول محمد بن علي بن عبد الله بن عباس مؤسس الحركة العباسية،

(١) انساب الاشراف/ ج٣/ ص٢٣٨.

في رسالة لاحد دعائه وهو يفصلٌ ولاءات حواضر العالم الاسلامي :
«واما الكوفة وسواها فشيعة علي»^(١).

وفي الواقع ان الكوفة ظلت المركز الذي تاوي اليه قيادات المعارضة، حتى نجحت اخيراً في إسقاط الحكم الاموي، وقيام الدولة العباسية في الكوفة بمساعدة الجيش الخراساني وكان حسب تقدير زعماء الدعوة العباسية في الكوفة ان تلك الحركة توالي اهل البيت الآن واقع الحال ان بني العباس استغلوا ولاء اهل الكوفة لاهل البيت ﷺ في اسقاط الحكم الاموي، وتشكيل الدولة الجديدة لحسابهم الخاص، فيما كان يظن اهل الكوفة انها دولة اهل البيت.

وفي ضوء هذا الموقع الذي اخذته الكوفة، نرى حُسنَ اختيار زيد لإعلان ثورته فيها؛ لان الكوفة هي البلد الوحيد الذي يوفر لزيد فرصة الثورة، هذا على القول بأنه جاء الى الكوفة وبعد مجيئه صمم على الثورة، اما على القول بأن اهل الكوفة تعاهدوا مع زيد وهو خارج الكوفة، فان هذا مما يدعم مكانة الكوفة في الخارطة الثورية.

لقد أنتاب اهل الكوفة إحباط بعد واقعة كربلاء نتيجة موقفهم من الامام الحسين ﷺ تمخض عنه شعور جارف بالذنب تفاعل خلال اربع سنوات التي تعقبت شهادة الامام، حتى فجر ثورة التوابين ضد الحكم الاموي ولكنها فشلت في اسقاط ذلك الحكم. ومما زاد في نقمة اهل الكوفة على الحكم الاموي، مواقف الاخير ضدهم، حيث اعتاد الحكام الامويون تولية القساة

(١) تاريخ الاسلام / ج ٢ / ص ١٢.

والظلمة على الكوفة، أمثال الحجاج بن يوسف الذي ولاه عبد الملك الكوفة فصعد المنبر وصاح في الناس:

«يا أهل الكوفة، اني لارى رؤوساً قد أينعت، وحن قفافها، وإنني لصاحبها، وكاني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى»^(١).

«فقد رسم الامويون إذن لأنفسهم خطة خاصة لمعاملة أهل العراق، وهي خطة تقتضي بأن ينظر اليهم على أنهم اعداء، يجب معاقبتهم، وإنقاص أعطياتهم وحرمانهم من الفياء، ومن كثير مما كان يتمتع به أهل الشام، كما أنهم اتخذوا سياسة تعيين ولاية اقوياء، وإدخال القطع العسكرية السورية فيه وإقامة حكومة حربية»^(٢).

وقد ولّى هشام بن عبد الملك يوسف بن عمر على الكوفة، وهو الشخص الذي اشتهر بقسوته حتى أنه خاطب أهل الكوفة بقوله: «ولقد سألت امير المؤمنين (يقصد هشاماً) أن يأذن لي فيكم، ولو أذن لي لقتلت مقاتليكم وسييت ذراريكم»^(٣).

وهذا مما يؤكد ان الكوفة صارت قلعة المعارضة والثوار ضد الحكم الأموي، واذا كان الامر كذلك، فان اختيار زيد الكوفة نقطة انطلاق يعكس مقدار وعي زيد لدور الكوفة، وقدرتها على إشعال الثورة.

(١) تاريخ الاسلام/ ج٢/ ص ٢٩٥.

(٢) العراق في العصر الاموي/ ص ١٦١.

(٣) المصدر نفسه/ ص ١٧٠.

٢- أهل الكوفة يبايعون زيداً على الثورة :

عرفنا الكوفة بوصفها قاعدة من قواعد الثورة الرسالية، في الفترة الأموية، بقي علينا أن نعرف موقف أهل الكوفة من ثورة زيد. فهناك قضية يُسَلَّمُ بها الباحثون، وقضية أخرى اختلفَ فيها، أما نقطة الوفاق، فهي الاعتقاد بأن أهل الكوفة بايعوا زيداً في البداية، وبدأوا الاستعدادات اللازمة للثورة بعد قدوم زيد.

أما نقطة الخلاف فهي: هل أهل الكوفة استدعوا زيداً من المدينة؟ أم أنه ذهب إليها باختياره؟ أم أنه ذهب إلى الكوفة لأن خالد بن عبد الله القسري أو ابنه يزيد ادعى على زيد وغيره مالا له؟

إن المصادر التاريخية لم تتحدث عن سبب قدوم زيد إلى الكوفة بدقة، ولهذا ليس مهماً... إذ سوف نرى أن أهل الكوفة بايعوا زيداً على الخروج معه.

وقد اتفق جميع المؤرخين على هذه الحقيقة، ونحن لانستبعد قيام بعض الاضطرابات داخل الكوفة أبان ولاية خالد بن عبد الله ضد الحكم الأموي، مما يفسر لنا السر في عزل خالد، وتولية يوسف بن عمر المشهور بقسوته، ويفسر السر في قدوم زيد.

إن هذه الحقائق، والمؤشرات كافية في إثبات صفة الثورية للكوفة في ظل العهد الأموي، ولكن توجد، إضافة إلى ذلك، أدلة كافية على أن أهل الكوفة بايعوا زيداً، ولم يكتفوا فقط بالموقف التقليدي العام لهذا البلد، بل

تحركوا إيجابياً على طريق إعلان الثورة .

والسؤال المطروح حول حجم التوافق بين زيد وأهل الكوفة على الخروج ضد النظام؟

هنا أيضاً روايات متعددة في تصوير ذلك الاتفاق، نستعرض بعضها ثم نستخرج النتيجة العامة .

«قالوا: ولحق زيداً بعد شخوصه من الكوفة قوم من الشيعة، فقالوا له: (ارجع معنا إلى الكوفة إلى الحق (ف) إنا نرجو أن يكون (الداعي إلى الحق هو) المنصور، وان يكون هذا الزمان زمان هلاك بني أمية . فقال له داود، حين أراد المضي إلى الكوفة، وقد أطلع على أمره: يا أبا الحسين، إن أهل الكوفة أصحاب علي وأصحاب الحسين فاحذرهم . فلم يقبل (منه زيد)، ورجع إلى الكوفة مستتراً . فقال له محمد بن عمر بن علي: قد صدقك ابن عمك (يقصد داود) فلا تخرج . فلما أبى مضي إلى الكوفة وتركه»^(١).

وهناك رواية نقلها البلاذري تصرح بان زيداً كان في الكوفة قبل إقالة خالد بن عبد الله، وان قضية ودیعة خالد لزيد لم تكن هي التي دفعت يوسف بن عمر للإخطار بطلب زيد من المدينة، لفصل دعوى خالد . فقد جاء في الرواية:

«كان زيد بن علي (رض) مع خالد بن عبد الله القسري في أصحابه بالكوفة، وخالد والي العراق، وكان داود بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله تعالى عنهم مع خالد ايضاً . فلما ولي يوسف بن عمر الشقيفي

(١) أنساب الاشراف / ج ٢ / ص ٢٣٦ .

العراق كان بلغه مكان خالد وبلغه ان خالداً اودع زيد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم، وداود بن علي بن عبد الله بن العباس مالا فحلفا على ذلك فقبل يمينهما، وانصرفا الى مكة، فلقيهما نصر بن خزيمة العبسي فدعاهما الى الخروج، فاجابه زيد بن علي (رض)، فقال داود لزيد: يا ابن عم، لاتفعل فإنهم يغرونك ويسلمونك»^(١).

وهذه الرواية صريحة في أن زيدا كان في الكوفة في أيام خالد، واذا صدقت هذه الرواية فان من الطبيعي أن يقوم زيد خلال وجوده في الكوفة بتنسيق الأمور، والإعداد للثورة. ولكن هنالك روايات اخرى معارضة، فلا يمكن للباحث القطع بمضمون رواية الانساب.

«قال ابو مخنف: وأقبلت الشيعة وغيرهم من المحكمة (وهم طائفة من الناس) يختلفون اليه ويبايعونه، حتى أحصى ديوانه خمسة عشر الف رجل من أهل الكوفة خاصة. سوى أهل المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان والري وجرجان والجزيرة. وفي رواية اخرى ان ديوانه أحصى أربعين ألفاً»^(٢).

ومن الثابت ان الذين بايعوا زيدا، أو الذين اتفقوا معه على الجهاد بمدد او بمساعدة، ليس فقط من صفوف الشيعة، بل كان غيرهم يفعل ذلك، بل كان كبار فقهاء السنة الى جانب زيد. وفيما يلي جانب من الروايات التي تشير الى ذلك:

(١) انساب الاشراف / ج ٣ / ص ٢٣٣.

(٢) زيد الشهيد / ص ٦٣.

٦٧ □ أهل الكوفة يبايعون زيدا على الثورة

«قدم زيد بن أبي زياد، مولى بني هاشم صاحب عبد الرحمن بن أبي ليلى، الرقة، يدعو الناس إلى بيعة زيد بن علي، وكان من دعاة زيد بن علي، وأجابه الناس من أهل الرقة وكنت فيمن أجابه».

و«كتب زيد بن علي إلى هلال بن حساب وهو يومئذ قاضي المدائن فاجابه وبايع له».

«حدثني شريك قال: اني لجالس عند الاعمش أنا وعمرو بن سعيد أخو سفيان بن سعيد الشوري، إذ جاءنا عثمان بن عمير أبو اليقظان الفقيه، فجلس إلى الاعمش فقال: أخلنا فان لنا اليك حاجة، فقال: وما خطبكم؟! هذا شريك وهذا عمرو بن سعيد. اذكر حاجتك، فقال: أرسلني اليك زيد بن علي أدعوك إلى نصرته والجهاد معه، وهو من عرفته. قال: أجل، ما أعرفني بفضله! أقرئني السلام وقولا له: يقول لك الاعمش: لست أثق لك - جعلت فداك - بالناس، ولو أنا وجدنا لك ثلاث مئة رجل أثق بهم لغيرنا لك جوانبها».

و«قال أبو حنيفة حين سمع بعزم أو بخروج زيد: من يأتي زيدا في هذا الشأن من فقهاء الناس؟».

قال عمرو بن الفضل: قلت: سليمة بن كهيل، ويزيد ابن أبي زياد، وهارون بن سعد، وهاشم بن البريد، وأبو هاشم الرماني والحجاج بن دينار، وغيرهم.

فقال لي: قل لزيد: لك عندي معونة وقوة على جهاد عدوك، فاستعن بها أنت وأصحابك في الكراع والسلاح، ثم بعث ذلك معي إلى زيد فأخذه زيد».

«حدثنا عبد الله بن مروان بن معاوية قال : سمعت محمد بن جعفر في دار الإمارة يقول : رحم الله أبا حنيفة، لقد تحققت مودته لنا في نصرته زيد بن علي»^(١).

ومن مجموع هذه الروايات نستخلص الحقائق التالية :

- ١- كانت الكوفة مركز الثورة وكان عدد من المؤيدين لها قد انتشر في مناطق أخرى كالموصل، وجرجان، والبصرة.
 - ٢- ان حركة زيد ضمت إلى صفوفها مؤيدين من الشيعة، في البداية على أقل تقدير، كم ضمت فئات من سائر المذاهب الإسلامية.
 - ٣- أنها ضمت شخصيات علوية، كمحمد بن عبد الله وعبد الله بن علي بن الحسين.
 - ٤- وسوف نتناول موقف الإمام الصادق عليه السلام من ثورة زيد، ونرى أن موقفه عليه السلام كان إيجابياً من فكرة الثورة، ولكنه عليه السلام كان يريد لها ثورة ظافرة لامغامرة، قد يكتب لها النجاح وقد يكتب لها الفشل.
 - ٥- إن كبار فقهاء العامة كانوا يقفون إلى صف زيد من خلال الإفتاء بجواز الخروج معه، ومدّه بالمؤن والسلاح وماشاكل ذلك.
- وعلى هذا الأساس يمكن الخروج بنتيجة محددة، هي وجود القاعدة الشعبية الضرورية للثورة، وأن زيداً باشر عملية توظيف تلك القاعدة في الكوفة لصالح جهاده.
- بيد أن قضية الثورة ليست فقط في وجود قاعدة المؤيدين، بل تكمن في

(١) مقاتل الطالبين / ص ٩٩.

مدى اتساعها، ومدى قوتها وقدرتها على الثبات، وحدود الطاعة للقيادة، وبعض هذه الامور لم تتوافر في اتباع زيد، كما سوف نرى في بحث أسباب فشل الثورة. إلا أننا نريد أن نقول هنا إن حركة زيد لم تكن حركة فردية، وقراره لم يكن قرار فرد خرج على النظام، بل يمثل تياراً سياسياً قوياً ضد النظام داخل المجتمع الاسلامي. فالمجتمع الاسلامي، وبشكل خاص شخصياته المتميزة، لم يخضع للحكم الاموي، بل كان يفجر في وجهه بين فترة واخرى ثورة عسى ان يكتب لها النجاح.

ثالثاً: إمكانات وقدرات زيد في قيادة الثورة:

لقد درسنا في بداية البحث بعض جوانب شخصية زيد، ونريد هنا معرفة الجوانب الاخلاقية في شخصية زيد ذات الصلة بالثورة، والجوانب المتصلة بالعلاقات السياسية والاجتماعية.

ولا بد من ان نشير الى حقيقة مهمة، تتعلق بالفرق بين قيادة ثورة مسلحة، وبين قيادة الامة، فإمام الامة تقع على عاتقه مسؤولية القيام بالثورة عند توفر الشروط التي يراها لازمة، أما قيادة الثورة المسلحة، فليس لدينا نصوص واضحة المعنى صحيحة السند تحصر قيادة الثورة بالامام، وتجعل الامام هو الانسان الوحيد الذي له صلاحية القيام بالثورة من وجهة شرعية.

إن قيادة الثورة اذا قام بها الامام، فانها تندرج ضمن مسؤولياته في قيادة الامة، أما القائد الذي يقوم بالثورة المسلحة، فلا يشترط فيه ان يتمتع بخصائص الامام، نعم لا بد من توافر صفات عديدة في شخص قائد الثورة

وأسلوبها، ولا بد من إذن القيادة الشرعية (الإمام من أهل البيت عليه السلام)، أما حصر القيام بالثورة بشخص الامام، فهذا لم يثبت شرعاً.

كما ان قيادة الثورة المسلحة نوع من ممارسة الامر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومن الواضح ان هذه المسؤولية، بهذه اللحاظ، تقع على عاتق الجميع، الا ان قيادة الجهاد المسلح ضد النظام الظالم، لا يمكن لاي فرد في المجتمع الاسلامي ممارسته، بل هي مسؤولية تقع على عاتق العارفين القادرين الذين تتوافر فيهم عناصر القيام بالمسؤولية الاجتماعية، على وجهها الصحيح.

وعلى هذا الاساس لا بد ان نفرق بين منصب الامام، وبين مسؤولية قيادة ثورة مسلحة، فان المنصب الاول لا يقوم باعبائه الا اشخاص منصوص عليهم، ولا يجوز لاي فرد عزلهم عن منصبهم، وممارسة مسؤولية الامامة. أما قيادة الثورة، فانها مسؤولية أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ولكن ليست هي كالامر بالصلاة، والنهي عن شرب الخمر مثلاً، حيث يستطيع أي فرد القيام بها في المجتمع الاسلامي، بل ان مسؤولية قيادة الثورة يجب ان يتولاها الافراد العارفون القادرون. وأجد من الضروري ادراج حديث بهذا المعنى؛ لكي تتضح الفكرة بشكل جلي، يقول الحر العاملي في وسائل الشيعة:

«عن مسعدة بن صدقة، عن ابي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول وسئل^(١) عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر او اوجب هو على الأمة جميعاً؟ فقال: لا. فقيل له: ولم؟ قلا: انما هو على القوي المطاع العالم بالمعروف من

(١) مرجع الضمير هنا يعود للامام الصادق عليه السلام.

المنكر، لاعلى الضعيف الذي لا يهتدي سبيلا الى أي من أي يقول من الحق الى الباطل، والدليل على ذلك كتاب الله عز وجل قوله: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ . فهذا خاص غير عام. كما قال الله عز وجل: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ولم يقل: على أمة موسى، ولا على كل قومه، وهم يومئذ أم مختلفة، والامة واحد فصاعداً، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ ، يقول: مطيعاً لله عز وجل.

ولس على من يعلم ذلك في هذه المهنة من حرج، إذا كان لاقوة له ولا عدد ولا طاعة...»^(١).

فهذه الرواية توضح ان هناك امراً بمعروف ونهياً عن منكر لا يجب الا على أفراد محددين . نعم ان واجب المساعدة في القيام بالثورة على الطاغوت يقع على جميع أفراد المجتمع، ولكن الذي يقوم فعلاً بقيادة الثورة، والعمل الثوري، انما هو مَنْ يملك صفات رسالية تمكّنه من القيام بتلك المسؤولية . وهذا بالطبع لا يعني سقوط وجوب الثورة عن المجتمع، انما يعني ان اعمالاً معينة من اعمال الثورة تسقط عن المجتمع، اذا قام بها مجموعة من الواعين الذين يملكون القدرة على مواجهة الطاغوت مواجهة فاعلة . ولكن سائر الاعمال الثورية لا بد من ممارستها من قبل المجتمع .

ومن هنا يتبين الفرق بين مسؤولية قيادة الثورة ضد الطاغوت، وبين مسؤولية قيادة الامة في جميع الحالات، وان قيادة الثورة قد يمارسها الامام

(١) وسائل الشيعة/ ج ١١ / ص ٤٠٠ / ح ١.

في حالات معينة، وقد يحدد افراداً معينين للقيام بها، وقد يدعم، ويحتضن الثورة بصورة من الصور. اما الفرد الذي يباشر الثورة، وهو لا يمثل الامام الشرعي المنصوص عليه، فانه لا يصير اماماً بمجرد القيام بالثورة التي هي في الواقع ممارسة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعلى هذا الاساس نعتقد ان خصائص القائد لثورة ضد حاكم فاسق هي:

- ١- معرفته العميقة بالرسالة.
 - ٢- معرفته بنظام الحكم القائم، وحجم الخطر الذي يشكله تجاه الرسالة.
 - ٣- قدرته الشخصية، وامتلاكه أخلاقية رسالية تتيح له القيام بعمل عسكري يراه نافعاً للامة.
 - ٤- مكانته الاجتماعية في وسط الامة.
 - ٥- علاقاته السياسية، والاجتماعية التي توفر له فرصة القيام بالثورة.
- ونقف هنا على خصائص شخصية زيد (رض)؛ لنلمس أهليته للقيام بالعمل العسكري:

١- معرفته بالرسالة:

معرفة زيد بالاسلام بفروعه وقواعده أمر مفروغ منه، كيف لا وهو تربي في احضان اخيه الاكبر الامام الباقر عليه السلام، بعد استشهاد ابيه زين العابدين عليه السلام. وعده الشيخ الطوسي من اصحاب الامام الصادق عليه السلام ^(١) وفيه إشارة الى ان زيد قد اخذ العلم من الامام الصادق عليه السلام.

(١) رجال الطوسي / ص ١٩٥.

وقد «قال عمر بن موسى الرحبي الزيدي في كتاب قراءة زيد: هذه القراءة سمعتها من زيد بن علي بن الحسين، وما رايت أعلم بكتاب الله منه . وعن السيد الجليل بهاء الدين علي بن عبد الحميد النيلي النجفي رضوان الله عليه، في كتابه الانوار المضيئة، انه كان عين اخوته بعد أبي جعفر عليه السلام، وخصصهم ورعاً، وفقهاً، وسخاءً وشجاعة، وعلماً، وزهداً، وكان يُدعى حليف القرآن»^(١).

وهناك شهادة من الامام الصادق عليه السلام تدل على ان زيداً كان عارفاً باحكام الله وكان انساناً ربانياً، «فعن فضيل الرسان انه قال: دخلت على أبي عبد الله بعد ما قتل زيد، فأدخلتُ بيتاً في جوف بيت فقال لي (اي ابو عبد الله عليه السلام): يا فضيل، قتل عمي زيد؟ قلتُ: نعم، جعلت فداك. قال: رحمه الله. اما إنه كان مؤمناً وكان عارفاً وكان عالماً وكان صدوقاً»^(٢).

«وفي المناقب: سأل زيدي الشيخ المفيد وأراد الفتنة فقال: بأي شيء استجزت انكار إمامة زيد فقال: قد ظننت عليّ ظناً باطلاً، وقولي في زيد لا يخالفني فيه أحد من الزيدية، فقال: وما مذهبك فيه قال: أثبت في امامته ما تثبته الزيدية وأنفي عنه من ذلك ما تنفيه أقول: كان اماماً في العلم والزهد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنفي عنه الامامة الموجبة لصاحبها العصمة والنص والمعجز»^(٣).

(١) زيد الشهيد/ ص ٣٥-٣٦.

(٢) المصدر السابق/ ص ١٤.

(٣) المصدر السابق/ ص ٣٢.

وهذا المقدار يكفي في البرهنة على علو درجات زيد في العلم، مما يتيح له فهم، ووعي الاحداث السياسية بخلفياتها، ونتائجها وبالتالي القدرة على الحركة والمبادرة.

٢- معرفة زيد بنظام الحكم الاموي :

عاش زيد في المدينة، ولمس الظلم الاموي من خلال فعل السياسة الاموية في تمزيق المجتمع، وفي حرمان افراد المجتمع من حقوقهم، بل ان زيدا كونه فرداً من أهل البيت عُرض للتنكيل بشكل مباشر، وعاش مأساة كربلاء من خلال آثارها العميقة في حياة أهل البيت عليهم السلام، كما أن آثار واقعة الحرة، وما فعل فيها مسرف بن عقبة من انتهاكات للمقدسات ظلت شاهداً بارزاً على حجم ابتعاد الحاكم الاموي عن الاسلام وقيمه.

من هنا كان الثأر للامام الحسين عليه السلام يشكل أهم دوافع ثورته المباركة. فزيد استوعب حركة النظام السياسي على امتداد تاريخها، وعاش بوجوده الاحداث الرهيبة التي ارتكبتها النظام بحق أهل البيت، وبحق المجتمع الاسلامي بشكل عام، فهو وليد المعاناة. فمن عمقها ولد زيد، وفي احضانها عاش ونما.

واذا كان زيد قد ترعرع في احضان هذه الاحداث الجسام، وفي أرجاء تلك المحنة، فإنه كان أكثر الناس وعياً للنظام القائم، وفهماً لطبيعته الدموية. وفي الواقع، أن حركة الاحداث، وما استورثه من محن وعاش من آلام في ظل أبيه وأخيه الاكبر، كل هذه الامور كفيلة بصناعة زيد قائداً ثورياً

قدرتهُ ونضجه الشخصي □ ٧٥

رُفد خط الامام الحسين عليه السلام بزخم ثوري ساهم في الحفاظ على مشعل الثورة العلوية امام الثوار واصحاب الحس الاسلامي الثوري .

٣- قدرتهُ ونضجه الشخصي :

لقد عاش زيد في رحاب أهل البيت، فكانت تسكب في روحه جلال الايمان، وروعة الزهد، وعظمة التقوى، ووقار العلم فجاءت شخصيته متوازنة وناضجة . ويكفي أن نعرف انه كان وكيلاً عن ولد الحسين عليه السلام في بعض الدعاوى التي وقعت في البيت العلوي . وهذا يدل على حجم اعتماد الامام الباقر عليه في هذه الامور .

٤- مكانته الاجتماعية في وسط الأمة :

من الواضح ان لزيد مكانة كبيرة في قلوب الأمة، فحتى الولاة كانوا يبدون له الاحترام وذلك لما تحلى به من صفات الخير والفضيلة، ولما يتمتع به من مرونة اجتماعية في اللقاء مع الاشخاص الذين يمثلون تيارات فكرية متباينة، والحوار معها، فضلاً عن كونه ينتمي الى آل البيت مما سبب كثرة انصاره والمؤيدين لثورته اثناء الاعداد لها .

٥- علاقاته السياسية والاجتماعية :

هذه الميزة مكنت زيداً في ان يستقطب الكثير من افراد المجتمع الاسلامي، حتى من الذين لا ينتمون الى الشيعة في حركته المناوئة للحكم الاموي حيث

كانت له علاقات عامة مع بعض رجالات المذاهب الاخرى، مما جعل لديه القدرة على استيعاب المجاهدين من أجل تحقيق اهدافه .
إن هذه الامور شكلت عاملاً مساعداً للقيام بالثورة، ولا يمكن التركيز على عنصر معين، وأبرزه بوصفه دافعاً اساسياً في جذب الناس وتفجير الثورة .

القسم الثاني

اهداف الثورة

عندما نقلب أوراق التاريخ الاسلامي نجد ان ائمة اهل البيت قد أبعثوا عن مقامهم السياسي الذي جعلهم الله فيه، ولكنهم لم يرضخوا للأمر الواقع، وحاولوا انطلاقاً من مسؤولياتهم الشرعية، معالجة الموقف في بعض الاحيان من خلال منح الشرعية للعمل العسكري ضد النظام بقيادة الثوريين من اهل البيت .

وهذا بالذات ما حصل حين سمح الامام الصادق عليه السلام لزيد بن علي برفع السلاح ضد هشام بن عبد الملك؛ ولان حركة زيد ساهمت في إظهار موقع اهل البيت في الحياة السياسية للأمة، فلا بد من دراسة أهداف الثورة، ودورها في تقويض نظام الحكم الاموي، وموقعها من جهاد الشيعة على امتداد التاريخ الاسلامي .

فما هي أهداف ثورة زيد بن علي (رض)؟ وهل تحقق شيء منها؟
هنالك فارق بين ثورة زيد وبين حركات اخرى قامت بعمل عسكري كحركة يزيد بن المهلب، وحركة عبدالله بن حر، وهو ان زيدا حدد اهدافاً اسلامية، وتحرك من أجل الوصول اليها . فليست هي انطلاقة عشوائية،

وأما كانت ثورة سعت نحو تحقيق أهداف ثابتة أهمها تحقيق حاكمية الله، وتصحيح المسار السياسي المنحرف للحكم القائم رغم احتفاظه ببعض الظواهر الإسلامية في حين ان تلك الثورات انطلقت لتحقيق مصالح شخصية.

ويمكن تلخيص اهداف ثورة زيد بن علي (رض) بالنقاط التالية:

أولاً: الثار لدم الامام الحسين بن علي عليه السلام.

ثانياً: تحقيق العدل الاجتماعي.

ثالثاً: الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفيما يلي نتناول هذه الاهداف بالتفصيل:

أولاً: الثار لدم الامام الحسين بن علي عليه السلام:

لانريد هنا أن نوضح حجم تأثير شهادة الامام الحسين عليه السلام في دفع حركة التاريخ الثوري، وإنما نتاولها بقدر ما تتصل بثورة زيد. وعليه لا بد من تناول الجوانب التاريخية لشهادة الامام الحسين عليه السلام، ومن ثمّ نشوء فكرة الثار لدمه الزكي. كما سنتناول موقف أهل الكوفة من الأئمة الاوائل لاهل البيت، لفهم جيداً ذلك الموقف، ومواقع القيادة الشرعية المتعلقة بموضوع البحث.

إن حركات عديدة تفجرت في الساحة الاسلامية تحت شعار (الثار لدم الحسين عليه السلام)، ووجوب معاقبة جميع المشاركين في جريمة قتل الحسين عليه السلام. ولكن ثورة زيد كانت من أهم تلك الثورات التي استهدفت

الثار لدم الامام الحسين بن علي ﷺ □ ٨١

الثار لدم الحسين ﷺ، ولكن ليس من المسؤولين المباشرين عن الجريمة وانما من خلال الاطاحة بالحكم الاموي الذي صنع ماساة كربلاء.

فهذا الحكم هو الذي ارتكب مجزرة كربلاء من خلال اشخاص يزيد، وعبيد الله، وعمر بن سعد، فالقضاء على هذا النظام، الذي يحمل وزر الجريمة، يشكل انتصاراً لدم الامام المظلوم.

اننا حين نتأمل التاريخ بعد واقعة كربلاء، نجد فكرة ثورية ملأت ضمائر وأفئدة المؤمنين الصادقين، وهي فكرة الثار لدم الامام الحسين ﷺ.

فقد صنعت فكرة الثار صوراً ثورية رائعة في (عين الوردية)، وفي غيرها من نقاط العالم الاسلامي، كما غدَّت نغماً من السلوك الثوري في حياة المجتمع الاسلامي، فقد كانت تملأ الوجدان الشعبي، وتُؤمّنه بالوقود الثوري وكانت تشكل هدفاً عاماً للثورات بعد شهادة الامام الحسين ﷺ. لذلك فإن دراسة أية ثورة في ذلك العصر، لا بد ان تتناول فكرة (الثار) هذه، وكيف صارت نغماً من أنماط السلوك الاجتماعي، وهدفاً يسعى اليه الثوار. لذلك لا بد من تسليط الضوء على فكرة الثار لدم الامام، الذي يتم من خلاله دراسة هدف رئيس من اهداف ثورة زيد بن علي بن الحسين بن ابي طالب ﷺ.

ويتم ذلك ضمن عنوانين:

الاول: الاساس الوجداني والسياسي لشعار «الثار الحسين».

الثاني: تطور التنفيذ العملي لفكرة ثارات الحسين.

الاساس الوجداني والسياسي لشعار (يالثارات الحسين) :

لقد استهدفت ثورة الامام الحسين عليه السلام الاطاحة بالنظام الاموي، وتحقيق حاكمية الله، الا ان شهادة الامام الحسين عليه السلام بتلك الصورة المفجعة هزت المجتمع الاسلامي هزاً عميقاً، وبعثت في ضميره مشاعر اليقظة والحزن والالم. من هنا وجد أئمة أهل البيت عليهم السلام ان الأمة بحاجة الى ان تستوعب شهادة الامام الحسين اولاً، ثم تنطلق للاخذ بشاره ثانياً، ثم تحقيق حاكمية الله ثالثاً. ولكن كيف يمكن إدخال فكرة مظلومية الامام، وفكرة الثأر لدمه؟

إن المطلوب في المرحلة الاولى هو تحويل شهادة الامام الحسين عليه السلام الى قضية مقدسة عند أبناء المجتمع الاسلامي، وهي كذلك بطبيعة الحال، وليست القداسة فيها مختلفة لأغراض سياسية، ثم رفدها بمشاعر تنبع من عمق الوجدان الشعبي، وليتكوّن على أساسها الولاء المتين للامام، ويتولد التبرؤ من الظالم الذي يحكم بغير ما أنزل الله.

وهذه المهمة قام بها أهل البيت، وخصوصاً الأئمة الاربعة الذين تولّوا الإمامة بعد الامام الحسين عليه السلام، وهم السجاد، والباقر، والصادق، والكاظم عليهم السلام.

إحياء صور الثورة :

إن أهل البيت عليهم السلام عملوا كثيراً من اجل كشف حجم النكسة التي عصفت بالامة، وجعل مأساة كربلاء مركز إشعاع للحس الثوري، والولاء لأهل البيت. فينبغي الإشارة الى أسلوب الأئمة عليهم السلام في تكوين الاساس

الوجداني والشعبي لشعار «يا للثارات الحسين» .

لقد ورد في كتب التاريخ أن الامام السجاد عليه السلام وفي أول خطاب له بعد رجوعه الى المدينة قال : «أيها الناس ، فاي رجالات منكم يسرون بعد قتله ، أم أي فؤاد لا يحزن من أجله ، أم أية عين منكم تحبس دمعها ، وتضن عن انهمالها فلقد بكت السبع الشداد لقتله ، وبكت البحار بأوجها والسماوات بأركانها ، والأرض بأرجائها ، والأشجار بأغصانها ، والحيتان في لجج البحار ، والملائكة المقربون ، وأهل السموات أجمعون . أيها الناس ، أي قلب لا ينصدع لقتله ، أم أي فؤاد لا يحزن اليه ، أم أي سمع يسمع بهذه الثلثة التي ثلمت في الإسلام ولا يُصم ؟»^(١) .

ويقول الامام الصادق حاكياً عن حال الامام السجاد عليه السلام :

«إن جدي علي بن الحسين بكى علي أبيه عشرين سنة ، وما وضع بين يديه طعام الا بكى . وعذله بعض مواليه فقال له : اني أخاف عليك أن تكون من الهالكين ، فقال له الامام برفق : ياهلدا ، إنما أشكو بثي وحزني الى الله ، وأعلم من الله ما لاتعلمون . إن يعقوب نبي فغيب الله عنه واحداً من أولاده ، وعنده اثنا عشر ولداً ، وهو يعلم انه حي . فبكى عليه حتى ابيضت عيناه من الحزن . واني نظرت الى أبي وأخوتي وعمومتي وصحبي مقتولين حولي ، فكيف ينقضي حزني ؟ وإني لا أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة»^(٢) .

«وعن ابي عمارة المنشد قال : ما ذكر الحسين بن علي عليه السلام عند ابي عبد

(١) حياة الامام الحسين بن علي عليه السلام / ج ٣ / ص ٤٢٥ .

(٢) المصدر نفسه / ج ٣ / ص ٤٢٧ .

الله جعفر بن محمد عليه السلام في يوم قط فرؤي أبو عبد الله ذلك اليوم مبتسماً قط الى الليل»^(١).

هذه الروايات تكشف عن حجم المعاناة التي مرّ بها أئمة أهل البيت عليهم السلام في شهادة الحسين عليه السلام، وعن حرصهم على غرس الحزن على مصابه في قلوب أبناء المجتمع الاسلامي، وطرح مأساة كربلاء في الشعر، وفي السلوك.

وبفعل هذه الارشادات، ظلت مأساة كربلاء حية في ضمير المجتمع. تتلاقفها الاجيال، وتنقل تفاصيلها الرهيبة. فصارت أساساً عاطفياً حاراً يوقد في ضمير الفرد حباً مقدساً لأهل البيت عليهم السلام، ويتفجر بغضاً للحكم الاموي ورموزه وأشخاصه، على امتداد تاريخ حكمهم ووجودهم السياسي. إن توجيهات أهل البيت عليهم السلام لم تستهدف إحياء مأساة الحسين عليه السلام في ذاكرة الاجيال في إطار الحزن والبكاء فقط، وإنما الهدف الآخر الذي يكمن خلف تلك المظاهر هو كشف مظلومية أهل البيت عليهم السلام في حرمانهم حقهم في قيادة الأمة، وبيان ضرورة الولاء لهم، وطاعتهم، وان رفض الولاء لهم يعني السقوط في أحضان الجاهلية الاموية، والابتعاد عن رسالة الله.

شعار (يا لثارات الحسين):

إن اهتمام الأئمة بضرورة إحياء قضية الامام الحسين عليه السلام شكل المناخ الملائم لنمو فكرة الاقتصاص من قتلته، أو مظهر في التاريخ الاسلامي

(١) ابن قولويه/ كامل الزيارات/ ص ١٠٠.

باسم «الثار للحسين» .

لقد استطاع أهل البيت ﷺ ان يجعلوا من شهادة الامام الحسين ﷺ مأساة شعبية تمون العاطفة بالحس الثوري، وتزود الإرادة بالعزم والقوة، وأن يجعلوا من شهادته ﷺ أساساً سياسياً، ونهجاً ثورياً في تشخيص الظالمين، وفي بيان صاحب الحق الشرعي في الامامة، وهذا هو مانسميه بالاساس الشعبي والسياسي لشعار: «الاثارات الحسين» .

إن ذلك الاساس أعطى ثماره المرجوة، وانبعثت من وحيه ثورات عديدة. فلا بد ان نرى الاشكال العملية لتنفيذ شعار «الاثارات الحسين» في الساحة السياسية .

تطور التنفيذ العملي لفكرة ثارات الحسين ﷺ

إن فكرة الثار للحسين ﷺ تطورت بسرعة، وتمخضت عنها حركات ثورية تسعى لملاحقة قتلة الامام الحسين ﷺ والقضاء عليهم . بيد أن الوجه العملي لفكرة الثار لم يبرز ضمن أسلوب واحد، وإنما تطور مع مرور الزمن حتى بلغ ذروته من الوعي والعمل على يد زيد بن علي (رض) .
ثلاثة أشكال لفكرة الثار:

إن الحركة العملية لفكرة الثار اتخذت ثلاثة أساليب . نستعرضها ثم نشير الى الشكل الذي تم على يد زيد بن علي (رض) .

الاسلوب الاول : ثورة التوابين

وهذا الاسلوب ظهر مباشرة بعد شهادة الامام الحسين عليه السلام وتبناه كبار الشيعة المواليين للامام الحسين عليه السلام حيث اعتقدوا أن ذنب قتله عليه السلام لا يغتفر الا بالقيام بحركة استشهادية ضد النظام الاموي، ولكي نصوّر شكل هذه الحركة لابد من اقتطاف بعض الخطب لقادة الحركة . فقد خطب سليمان بن صرّد الخزاعي قائد ثورة التوابين في مؤتمر لقادة تلك الحركة قائلاً: «أما بعدُ فإني لحائف الا يكون أخرنا الى هذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة وعظمت فيه الرزية وشمل فيه الجورُ أولي الفضل من هذه الشيعة لما هو خير، إنا كنا نغد أعناقنا الى قدوم آل بيت نبينا صلى الله عليه وآله، نمنّهم النصر ونحثهم على القدوم، فلما قدموا وثبنا وعجزنا وأذهلنا وتربصنا حتى قُتل فينا ولد نبينا وسلالته وعصارته وبضعة من لحمه ودمه اذ جعل يستصرخ ويسال النصف فلا يُعطى، اتخذته الفاسقون غرضاً للنبيل ودريئة للرماح حتى أقصدوه وعدّوا عليه فسلبوه . ألا انهضوا، فقد سخط عليكم ربكم ولا ترجعوا الى الحلائل والابناء حتى يرضى الله، والله ما أظنه راضياً دون أن تناجزوا من قتله، ألا لاتهابوا الموت فما هابه أحدٌ قطُّ الا ذلّ، وكونوا كبني اسرائيل اذ قال لهم نبيهم :

﴿إِنكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ﴾^(١)

ففعّلوا وجثّوا على الركب ومدّوا الاعناق حين علموا أنّهم لا يُنجيهم من عظيم الذنب إلا القتل، فكيف بكم لو دعيتم إلى ماعدوا! اهدوا السيوف وركّبوا الاسنة:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾^(١) حتى تدعوا وتستنفروا^(٢).
 وكتب في رسالة إلى سعد بن حذيفة في المدائن «... ان اولياء الله من إخوانكم وشيعة آل نبيكم نظروا لانفسهم فيما أبتلوا به من أمر ابن بنت نبيهم، الذي دُعي فأجاب، ودعا فلم يُجب، وأراد الرجعة فحبس، وسأل الامان فمُنِعَ، وترك الناس فلم يتركوه، وعدّوا عليه فقتلوه، ثم سلبوه وجرّدوه ظلماً وعدواناً وغرّة بالله وجهلاً وبعبّر الله ما يعملون، وإلى الله ما يرجعون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. فلما نظر إخوانكم، وتدبّروا عواقب ما استقبلوا، رأوا أن قد خطأوا بخذلان الزكي الطيب، وإسلامه وترك مواساته والنصر له خطأ كبيراً. ليس لهم منه مخرج ولا توبة دون قتل قاتليه أو قتلهم حتى تفنى على ذلك أرواحهم... وقد رأينا أن ندعوكم إلى هذا الامر، الذي أراد الله به إخوانكم فيما يزعمون، ويظهرون لنا أنهم يتوبون، وأنكم جدرء بتطلاب الفضل، والتماس، الاجر، والتوبة إلى ربكم من الذنب. ولو كان في ذلك حز الرقاب، وقتل الاولاد، واستيفاء الاموال وهلاك العشائر»^(٣).

(١) الانفال / ٦٠.

(٢) الكامل في التاريخ / ج ٤ ص ١٦٠.

(٣) تاريخ الامم والملوك / ج ٧ / ص ٥٠.

وخطب عبيد الله بن عبد الله المري وهو احد دعاة سليمان بن صرد الخزاعي :

«إن الله لم يجعل لقاتله (أي لقاتل الحسين عليه السلام) ولا لحاذله معذرة، إلا إن ينصح الله في التوبة، فيجاهد القاتلين، وينابذ الفاسقين. فعسى الله عند ذلك ان يقبل التوبة، ويقبل العثرة. إنا ندعوكم الى كتاب الله، وسنة نبيكم، والطلب بدماء أهل بيته، والى جهاد المحلين والمارقين. فإن قُتلنا فما عند الله خير للابرار، وإن ظهرنا رددنا هذا الامر الى أهل بيت نبينا. قال (رجل من الحضور) وكان يعيد هذا الكلام علينا في كل يوم حتى حفظه عامتنا»^(١).

وبعد ان اتسع نطاق حركة التوابين، وهاجت الكوفة سالَ (عبد الله بن يزيد)، والي الكوفة من قبل عبدالله بن الزبير: «حدثني، ماذا يريد الناس؟ قال: يذكر الناس أنهم يطلبون بدم الحسين بن علي».

وكان المختار بن ابي عبيد يعلق على حركة التوابين:

«أندرون ما يريد هذا؟ (يعني سليمان بن صرد)، انما يريد ان يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم»^(٢).

هذه النصوص تكشف بكل وضوح أبعاد هذا اللون من التحرك، الذي اتصل بشهادة الحسين عليه السلام، ونما في أحضان الكوفة. وقد ارتكز في هدفه على طلب التوبة من الذنب العظيم، من خلال العمل العسكري الاستشهادي.

(١) تاريخ الام والملوك/ ج٧/ ص٥٢.

(٢) المصدر نفسه/ ص٥٣.

صحيح أن فيه تلويحاً إلى أهداف سياسية، كما في خطاب عبيدالله بن عبد الله، ولكن الذي يبدو من خطب ورسائل سليمان، ومن تعليق المختار على حركة سليمان أن الهدف المركزي من الحركة هو التكفير عن الذنب، وإعلان التوبة.

ورغم أن مضمون الحركة هو طلب التوبة، إلا أنه أتخذ مساراً سياسياً يصب في خدمة الهدف الذي قامت من أجله ثورة الحسين عليه السلام، وهو تحقيق حاكمية الله.

لا نريد هنا تقييم حركة التوايين، بل نقول: إنها كانت شكلاً من أشكال الحركات التي تفجرت تحت شعار «الثارات الحسين». وهذا المقدار يكفي لبيان صلة الحركة بذلك الشعار الثوري، وبيان أن هدف الثار للحسين عليه السلام كان محوراً رئيساً في حركة معارضة الحكم الأموي، ولكن صور تلك الحركة تطوراً مع مرور الزمن.

٢- الأسلوب الثاني: حركة المختار:

وهذا الأسلوب يتمثل في القضاء على الأشخاص الذين شاركوا في واقعة كربلاء، إلى جانب عمر بن سعد. وقد ظهر بعد فترة قصيرة من شهادة الامام الحسين عليه السلام، على يد المختار الثقفي. وتحدد هذا الهدف على لسان قادة الحركة قبل واقعة (عين الوردة). وهذا يعني أن المختار شهد حركة سليمان بن صرد، ولكنه لم ينضم إلى صفوفها، وأثر قيادة حركة أخرى ضد الأمويين، بعد أن يقوم سليمان بن صرد الخزاعي

بإضعاف القوات الأموية، وإنهاكها.

وكان الهدف الأساسي المعلن من حركة المختار هو القضاء على قتلته الإمام الحسين عليه السلام. فكان شعار الشار للحسين هو المحور الأساسي الذي يوجه حركة المختار. «فقد قتل في يوم واحد مئتين وثمانين رجلاً، ولم يفلت أحد من قادتهم وزعمائهم، فقتل عبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد، مع ولده حفص، وقتل شمر بن ذي الجوشن، وقتل قيس بن الأشعث، والحسين بن نمير، وشيث بن ربعي، وغيرهم من قتلة الحسين عليه السلام»^(١). وقد فرَّ بعض قتلة الحسين عليه السلام إلى المدينة، وإلى الشام. وكانت تحت نفوذ ابن الزبير، وابن مروان.

فقد جاء أحدهم إلى عبد الملك وقال له: «اني هربتُ اليك من العراق. فصاحَ عبد الملك بن مروان: كذبت، ليس لنا هربت، ولكن هربت من دم الحسين، وخفت على دمك فلجأت إلينا»^(٢)

وقد استطاع المختار أن يقضي على الكثير من الشخصيات التي شاركت في قتل الإمام الحسين عليه السلام. وهذا من أهم الفوارق بين حركة المختار وحركة سليمان، فالأخير لم يوفق في القضاء على الرموز التي اضطلعت بالجريمة التاريخية، ولكن المختار نجح في تتبعهم والقضاء عليهم.

وفي الحقيقة، أن المختار استفاد من تجربة سليمان؛ لأنه أشرف عليها، وشاهد نهايتها، فسعى في تطوير حركته بما يخدم هدفه.

(١) حياة الإمام الحسين / ج ٣ / ص ٤٥٦.

(٢) المصدر نفسه / ص ٤٥٦.

من هنا يمكن القول أن تطوراً ملحوظاً عاشته حركة الثار للحسين عليه السلام في ظل المختار، حيث استطاعت التخلص من الذين شاركوا في واقعة كربلاء.

٣- الأسلوب الثالث : ثورة زيد بن علي :

وهو أسلوب مواجهة النظام، والسعي لإسقاطه من خلال الثورة في إحدى حواضر العالم الإسلامي، ثم توسيع نطاقها للاطاحة بالحكم الأموي.

وهذا الأسلوب تم على يد زيد بن علي (رض) حيث كانت حركته تستهدف الثار للامام الحسين عليه السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، بيد أن طريقة تجسيد ذلك يختلف عنه في حركة المختار، وفي حركة سليمان بن صرد الخزاعي. فقد كتب الشيخ المفيد في إرشاده: «وكان زيد بن علي بن الحسين عليه السلام عين إخوته بعد أبي جعفر عليه السلام، وأفضلهم، وكان عابداً، ورعاً، فقيهاً، سخياً، شجاعاً. وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بشارات الحسين». «وكان سبب خروج زيد بن علي رضي الله عنه بعد الذي ذكرناه من غرض: الطلب بدم الحسين عليه السلام»^(١).

فالثار لدم الامام الحسين عليه السلام كان هدفاً أساسياً من اهداف ثورة زيد، ولكن ليس بالاسلوب الذي مارسه حركات سبقت، بل بطريقة تناسب مستوى قيادتها، ونوعية رجالاتها، وظرفها الزماني.

(١) الارشاد/ ص ٣٦٨.

فهي حركة استهدفت القضاء على النظام الاموي الحاكم، فحاولت السيطرة على الكوفة لتكون نقطة انطلاق اولية للحركة، باتجاه إسقاط الشام.

وإذا كانت ثورة زيد جعلت الكوفة مركزاً لنشاطها، ومسرحاً لعملها، فإنها ضمت في صفوفها أنصاراً، ومؤيدين من مختلف مناطق العالم الاسلامي. كما تقدم في ضمن فقرة «القاعدة الشعبية للثورة».

ثانياً: تحقيق العدل الاجتماعي:

الهدف الثاني من أهداف ثورة زيد هو: تحقيق العدل الاجتماعي. وبيان هذا الهدف يقتضي تسليط الضوء على سياسة الحكم الاموي، وكشف أبعاد الظلم الاجتماعي الذي مارسه أقطاب ذلك الحكم ضد أبناء الأمة الإسلامية، وذلك ضمن النقاط التالية:

اولاً: الاعتماد على البيت الاموي.

ثانياً: حرمان أصحاب الكفاءات المخلصة من فرص العمل.

ثالثاً: بث التفرقة، والصراع بين القبائل العربية.

رابعاً: تمزيق القبائل وتقسيم أفراد المجتمع الاسلامي الى طبقات.

خامساً: تكثيف الضرائب المالية.

اولاً: الاعتماد على البيت الاموي في الحكم:

يعتمد النظام الإسلامي، في توزيع المسؤوليات على الافراد، اسس

الإيمان والكفاءة، ومنشأ هذا الميل السياسي قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ
اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(١) وقوله: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي
حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

ولانريد هنا شرح أصول وأفكار، ومرتكزات هذه السياسة، وتقييمها؛
لان هذا خارج عن بحثنا. إنما نقول:

إن هذه السياسة هي المنهج والطريقة العامة للنظام الاسلامي، التي تميز
بها في أصوله وتطبيقاته.

ولكن هذه السياسة انحسرت عن ميدان العمل في ظل الحكام
الامويين، فقد اعتاد هؤلاء الحكام على إناطة المسؤوليات الرئيسية
بالاشخاص الذين ينحدرون من البيت الاموي، بغض النظر عن اسس
الايمان، والعلم، والكفاءة في تحمل المسؤولية. ومن تلك الممارسات
المنحرفة عملية احتكار الخلافة لابناء الحاكِم الاموي. واعتماد الحكام في
قيادة الجيش، وفي تولي الامصار، والولايات الاسلامية، وفي القضاء على
اشخاص ينتمون الى البيت الاموي. ففي أيام عبد الملك «كان اعتماده على
رجال من أسرته، يمحضونه الوُدّ، ويمحضهم الثقة، من أهم مظاهر
سياسته في الإدارة الداخلية لدولته. فقد اعتمد عبد الملك على أخيه بشر بن
مروان في ولاية العراق، الكوفة أولاً ثم البصرة معها بعد ذلك، وذلك لما
كان لبشر بن مروان من دور في تشجيعه على حرب ابن الزبير. كما أنه

(١) القصص / ٢٦.

(٢) يوسف / ٥٥.

أوكل إلى يحيى بن الحكم بن ابي العاص ولاية المدينة من العام ٧٥ هـ وحتى عام ٨١ هـ.

«وفي الميدان العسكري كان اعتماد عبدالمملك على أفراد أسرته، مظهراً من مظاهر سياسته هذه، على الرغم من أنه لم يشارك إلا في بعض الحملات الخارجية. وكان أشهر أفراد أسرته الذين أسندت اليهم مثل هذه الاعمال، هم أخوه محمد بن مروان الذي غزا وهزم الروم سنة (٧٣، ٧٥، ٧٦ هـ). كما أناط به عبد الملك القيام ببعض الاعمال العسكرية في أرمينية في الاعوام (٨٢، ٨٣) هـ. وابنه الوليد بن عبد الملك، الذي كان أول عمل عسكري يقوم به هو قيادة جيش الصائفة، الموجهة ضد الروم في العام (٧٧ هـ)، وفي العامين (٧٩، ٨٠) للهجرة، كما يحدثنا الطبري وخليفة بن خياط».

«ولما استتب ملك عبدالمملك، كانت ولاية الحج إما لواليه على هذه المدينة، أو لنفسه أو لابنه سليمان بن عبدالمملك»^(١).

وهذه السياسة ظلت نهجاً ثابتاً للبيت الاموي أثناء توليهم مقاليد الحكم. وقد رسمنا نموذجاً منها أثناء حكم عبد الملك. ومن المؤكد أن اختيار الاشخاص الذين ينحدرون من الاسرة الاموية لم يكن على أساس تمتعهم بكفاءات أفضل من سائر أفراد المجتمع الاسلامي في تولي الولاية، أو القيادة، بدليل أنهم لا يتمتعون بخصائص تؤهلهم لتلك المناصب، إنما تم اختيارهم على أساس انتمائهم للبيت الاموي، وفي ضوء ولائهم للحاكم الاموي.

(١) اراجع: النزاع بين أفراد البيت الاموي / ص ١٠٦.

ان هذه السياسة التي طبعت حكم البيت الاموي تنطوي على الظلم للآخرين، إذ إن تسليط فرد عليهم غير مؤهل تضييع لحقوقهم، وظلم لأصحاب المؤهلات الذين ينبغي أن يمارسوا المسؤوليات المتطابقة مع إمكاناتهم، وهذا ماسنراه في الفقرة التالية:

ثانياً: حرمان اصحاب الكفاءات المخلصة من فرص العمل: وعلى امتداد سياسة احتكار بني امية مناصب الدولة، أبعداً اصحاب الكفاءات السياسية والعسكرية التي لا تدين بالولاء للحاكم، أو لا تمت للبيت الحاكم بصلة.

وفي إطار هذه السياسة نلاحظ أن الوليد بن عبد الملك نحى عمر بن عبدالعزيز عن ولاية المدينة سنة ٩٣هـ رغم أنه كان من بني امية، كما عزل عبد الله بن عبد الملك عن مصر. وذلك بسبب إحساس هؤلاء بالخوف من توسع نفوذ الوالي، رغم أنه من افراد أسرته.

وهذا يكشف عن العقلية الضيقة التي تسيطر على أعمدة البيت الاموي الحاكم. تلك العقلية التي تخشى حتى من توسع نفوذ أحد الولاة المحسوبين على جبهة الحاكم. هذه السياسة هي التي حسمت مصير عمرو بن سعيد الأشدق الاموي، ومصير موسى بن نصير وأولاده، وغيرهم من داخل البيت الاموي أو خارجه، وحكمت عليهم بالفناء.

ثالثاً: بث التفرقة والصراع بين القبائل العربية :

وفي ظل الحكم الاموي، نشأت سياسة غريبة مزقت المجتمع الاسلامي الى مجموعة من القبائل المتنازعة، وهي سياسة انتخاب حفنة من الولاة والقادة العسكريين من قبيلة معينة (قيسية مثلاً)، وإبعاد افراد القبائل الاخرى.

إن مبدأ توظيف الحس القبلي لاغراض سياسية، انتهجه معاوية بن ابي سفيان. حيث تزوج ميسون أم يزيد التي تنتسب الى بني كلب، لغرض جذب هذه القبيلة الى جانبه في تصفية خصومه من زعماء قبيلة قيس وظل هذا الاسلوب سياسة ثابتة للحكام الامويين تارة بشكل بارز واخرى بشكل خفي.

«وفي مطلع خلافة يزيد (بن عبد الملك) عاد الصراع القبلي ليطل برأسه من جديد، ولتبدو نصرة يزيد للقيسية في أكثر من مناسبة. ولم يكن تعيين عمر بن هبيرة الفزاري على العراقيين الآ خطوة واضحة في مناصرته للقيسية، فعمر الفزاري قيسي متعصب لقيسيته، لم يألُ جهداً في الإساءة الى قبائل اليمن، مما أثار تعيينه حفيظة الكثيرين. والخطوة الثانية ليزيد في مناصرة القيسية هي قضاؤه على المهالبة، حيث اعتبر القيسيون نصره على آل المهلب هو نصر لهم»^(١).

وفي حكم هشام بن عبد الملك: «ساء هشاماً ما كان للقيسيين من

(١) النزاع بين افراد البيت الاموي / ص ١٢٦.

سلطان زمن أخيه يزيد، مما حمّله على أن يبدي ميلاً لليمنية. فما إن آلت الخلافة إليه حتى عزل ابن هبيرة عن العراقيين، وولّاه لخالد بن عبد الله القسري. ومهما كان الانتماء القبلي القيسي له فلم يسع القيسيين إلا أن يعتبروه عدوًّا^(١).

وقد «لزم الوليد بن يزيد بن عبد الملك جانب المضريين؛ لأن أمه كانت منهم، وأقصى العنصر اليمني، فأثار هذا عوامل السخط والغضب في نفوس اليمنية عليه، بعد أن قتل زعيمهم، وأقصاهم من مناصب الدولة، فأخذوا يُدبرون المكائد لقتله، وسخط عليه عامة الناس. فانتهاز اليمنيون هذه الفرصة، وثاروا عليه. وانضم إليهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك، الذي كان يظهر التنسك والتواضع. وقتلوه في جمادى الآخرة سنة (١٢٦هـ) وبايعوا يزيد.

«ولم يَصْعُقْ قتل الوليد حداً للنزاع الذي قام بين أفراد البيت الأموي، الذي ظهر بين العنصرين اليمني والمضري. بل ساعد على تفاقم ذلك النزاع، فإن يزيد لم يكفد يعتلي عرش الخلافة حتى أخذ بسيرة أسلافه، فأنضم إلى اليمنيين ولزم جانبهم. وأخذ يولي العمال منهم؛ لأنهم ساعدوه على الوصول إلى الخلافة.

وأطلق اليمنيون يدهم في الإساءة إلى المضريين، الذين ثارت ثائرتهم، فأشعلوا نار الثورة في حمص، وانضم إليهم يزيد بن خالد بن معاوية وغيره من أفراد البيت الأموي. كما ثاروا في فلسطين بزعامة يزيد بن سليمان بن

(١) النزاع بين أفراد البيت الأموي/ص ١٣٠.

عبد الملك . وحذا أهل الأردن حذوهم بزعامه محمد بن عبد الملك ، غير أن يزيد بن الوليد استطاع بمساعدة اليمانيين أن يتغلب على هؤلاء جميعاً ، فأخضعهم وزج بزعمائهم من أهل بيته في أعماق السجون» .

أما مروان فقد «سار سيرة سلفه فتعصب للقيسية ، وطالب اليمانية بدم الوليد الذي قتلوه انتقاماً لخالد بن عبد الله القسري . فانتفض أهل حمص بزعامه ثابت بن نعيم وانضم اليهم أهل تدمر برئاسة الأصمغ بن ذؤالة الكلبي»^(١) . وفي الواقع أن الحكم الأموي برع في ممارسة السياسة القبلية ، وفي توظيف أحقادها لخدمة الحاكم ، أو لتصفية خصومه . ومن ثم مارس بحق الأمة والمجتمع الإسلامي لونا من أشد ألوان الظلم الاجتماعي .

رابعاً: تمزيق المجتمع الإسلامي إلى طبقات متفاوتة :

لقد مارس الحكم الأموي أسلوباً سياسياً منحرفاً وهو تقسيم أفراد المجتمع الإسلامي إلى طبقات . لكل منها امتيازات خاصة ، ويقف على رأس هذه الطبقة حفنة الولاة في البلاد ، ثم طبقة الأشراف ، ثم طبقة عامة الناس ، وهي الطبقة السفلى .

والهدف من تقسيم الناس إلى هذه الفئات هو حرمان الطبقات العامة ، وحصر السلطة والثروة في إطار المقربين لكسب ولائهم للحكم الأموي .

وبرزت في ظل سياسة اختيار الأشراف والخاصة ، طبقة من المجتمع تتميز بنفوذها الواسع ، وثروتها العريضة . وهذه الطبقة لا ينحدر أفرادها من

(١) تاريخ الإسلام / الجزء الأول : / ص ٣٣٩ .

قبيلة معينة، وإنما يقع الاختيار عليها بحسب عمق ولائها للحاكم، أو بسبب قوة نفوذها. الأمر الذي يدفع الحاكم لاستغلال ذلك النفوذ لحسابه الخاص.

ان التاريخ يحدثنا عن يزيد بن عبد الملك الذي غرق في عشق حباية وسلامة وأنه قال لإحداهن ذات يوم: «ويحك، أما لك قرابة، أو أحد يحسن أن أصطنعه أو أسدي اليه معروفاً؟ قالت: يا أمير المؤمنين، اما قرابة فلا، ولكن في المدينة ثلاث نفر كانوا أصدقاء لمولاتي، كنت احب أن ينالهم شيء مما صرتُ اليه. فكتب اليّ عامله بالمدينة في إشخاصهم، وأن يعطي كل رجل منهم عشرة آلاف درهم»^(١).

وفي رسالة لهشام بن عبد الملك لوالي الكوفة أثناء ظهور بوادر ثورة زيد جاء فيها وهو يوضح سياسة مواجهة الثورة:

«فادع إليك أشراف المصر، وأوعدهم العقوبة في الابشار واستصفاء الاموال، فإن من له عقد أو عهد سيطئ عنه ولا يخف معه إلا الرعاع واهل السواد ومن تنهضه الحاجة استلذاذاً للفتنة»^(٢).

وتمخضت سياسة انتخاب الأشراف عن تميز حفنة من المجتمع، تتركز في يديها الثروة، والسلطة، والنفوذ، عن عامة المجتمع الذي يتلوى تحت سياط الظلم الاجتماعي، وتنقل روايات التاريخ: «ان عبدة بن عبد الرحمن حين خرج من أفريقيا، كان فيما خرج به من العبيد والإماء ومن الجوارى

(١) ثورة زيد بن علي / ص ٧٧.

(٢) المصدر نفسه / ص ٧٥.

سبع مئة، وغير ذلك من الخصيان والخيل والدواب والذهب والفضة»^(١) وكذلك تنقل: «ان خالد بن عبد الله القسري اتسعت ثروته، وحصر الأنهار حتى بلغت غلته عشرين الف الف. منها نهر خالد، وكان يغل خمسة الاف الف. وكان كثيراً ما يقول: انني والله مظلوم، وما تحت قدمي من شيء الا وهولي»^(٢).

وفي مقابل هذه الطبقة تعتمد الحكام الامويون خلق طبقات اجتماعية من شرائح مختلفة فقيرة محرومة، عن طريق سحب فرص الحياة الكريمة من امامها، وإذلالها بالجوع، والفقر، لكي تظل دوماً خاضعة للنظام الاموي، وسياساته الظالمة.

خامساً: تكثيف الضرائب المالية:

وقد كثف الحكم الاموي الضرائب بالشكل الذي اثقل كاهل عامة أبناء المجتمع الإسلامي، خصوصاً الموالي، وعمقت الفقر والحاجة في المجتمع. «فعمر بن عبد الله المرادي والي طنجة (١١٦ - ١٢٢ هـ)، هو الآخر قد أساء السيرة، وتعدى في الصدقات والعشر، وأراد تخميس البربر، وزعم أنه في فيء المسلمين فقاموا عليه فقتلوه»^(٣).

«أما عبد الله بن الحجاج فقد زاد على أقباط مصر قيراطاً على كل دينار،

(١) ثورة زيد/ ص ٩٣.

(٢) تاريخ الام والملوك/ ج ٨/ ص ٢٥٥.

(٣) ثورة زيد/ ص ٩٣.

بعد حصوله على موافقة هشام، فقام القبط في وجه هذه الاجراءات الجديدة، وأعلنوا الثورة فحاربهم ابن الحجاب وقضى على اول ثورة لهم^(١).

هذه بعض ملامح السلوك الظالم للبيت الأموي في الساحة الاجتماعية، والسياسية، التي دفعت زيد بن علي (رض) باتجاه الثورة لتحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس، ولذلك أرسل زيد رسل ثورته الى بعض المناطق، بعد أن زودهم بكتب خاصة، يصف فيها جور بني أمية، وسوء سيرتهم، ويحضهم على الجهاد ويدعوهم اليه وقال: «لاتقولوا خرجنا غضباً لكم ولكن قولوا غضباً لله ودينه»^(٢)

ولذلك ايضاً كان زيد يأخذ البيعة على أساس: «الدعوة الى كتاب الله، وسنة نبيه، وجهاد الظالمين، والدفاع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم هذا الفياء بين أهله بالسواء، ورد المظالم، وأقفال الجمر، ونصرة أهل البيت على من نصب لهم وجعل حقهم»^(٣).

فزيد حاول بثورته وضع حد للظلم الأموي، وتحقيق العدالة الاجتماعية بين جميع أبناء الأمة، والقضاء على مظاهر القبلية والطبقية. فهي ثورة تستند على أساس اجتماعي متين، وعلى أساس شرعي، (وهذا ما ستراه في الفقرة التالية). ولم تكن مجرد حركة عنفوية انطلقت نتيجة الإهانة التي وجهها هشام بن عبد الملك لزيد بن علي في مجلسه في الشام.

(١) ثورة زيد بن علي / ص ٩٢.

(٢) المصدر نفسه / ص ١١١.

(٣) المصدر نفسه / ص ١٠٥.

ثالثاً: الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهذا هو الهدف الثالث من أهداف ثورة زيد بن علي (رض)، فان زيدا كان يقوم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسيف، الذي يُعد ذروة في درجات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولكن أيجوز استعمال السلاح، والتصدي للحاكم الفاسق، فيكون عمل زيد أمراً مشروعاً، أم لايجوز استعمال السلاح مهما يكن الحال، فتكون ثوره زيد خارجة عن دائرة الجواز الشرعي؟

والجواب نلخصه أولاً قبل استعراض الروايات الواردة في الامر بالمعروف والنهي، وفي الجهاد وندرس ثورة زيد على أساسها:

إن الذي يلاحظ لسان الروايات الواردة في مسألة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يقطع بان عملية التصدي للظالم أمرٌ مفروغ من جوازه في لسان أهل البيت (عليهم السلام). إنما الحديث عن بعض الشروط، التي لا تتصل بأصل الجواز. فالثورة حين تكون على يد رجل مثل أبي مسلم الخراساني، فإن الموقف الشرعي يختلف عما إذا جاءت على يد زيد بن علي. مثلاً.

إن مجموع الروايات التي عاجلت الامر بالمعروف، والجهاد، إنما تسعى إلى ضمان بعض الشروط في عملية الامر بالمعروف. ففي الامر بالمعروف الفردي ينظر بعضها إلى إحراز الأمن للآمر، والتأثير في المأمور. أما على المستوى العام فإنها تنظر إلى مواجهة المنكر المتفشي والذي يخشى منه على وجود الاسلام، حتى لو استدعى ذلك شهادة الأمر بالمعروف.

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر □ ١٠٣

وعلى كل حال لا بد من استعراض الروايات ثم نرى اتجاهها، ومغزى معارضة الائمة في بعض الروايات لزيد، على أننا سندرس موقف الامام الصادق عليه السلام من ثورة زيد (رض) في فصول قادمة إن شاء الله .

١- الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:

«عن مسعدة بن صدقة عن ابي عبد الله عليه السلام : قال : سمعته يقول، وسئل عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أو اوجب هو على الامة جميعاً؟ فقال : لا . ف قيل له : ولم؟ قال : إنما هو على القسوي المطاع العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضعيف الذي لا يهتدي سبيلاً الى أي من أي يقول من الحق الى الباطل . والدليل على ذلك كتاب الله عز وجل قوله : ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ، فهذا خاص غير عام . كما قال الله عز وجل : ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ولم يقل على امة موسى ولا على كل قومه . وهم يومئذ امة مختلفة . والامة واحد فصاعداً، كما قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ ، يقول : مطيعاً لله عز وجل . وليس على من يعلم ذلك في هذه الهدنة من حرج ، إذ كان لا قوة له ولا عدد ولا طاعة . قال مسعدة : وسمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول وسئل عن الحديث الذي جاء عن النبي صلى الله عليه وآله : إن أفضل الجهاد كلمه عدل عند امام جائر، ما معناه؟ قال : هذا على أن يأمره بعد معرفته، وهو مع ذلك يقبل منه وإلا فلا»^(١) .

(١) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٤٠٠ / ح ١ .

«وروى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه، قال: اني سمعت علياً عليه السلام يقول يوم لقينا اهل الشام: أيها المؤمنون، إنه من رأى عدواناً يعمل به، ومنكراً يدعى اليه، فانكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر، وهو أفضل من صاحبه. ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله ألعلى، وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، وقام على الطريق، ونور في قلبه اليقين»^(١).

وفي خطبة من خطب الامام الحسين عليه السلام قال فيها:

«أيها الناس، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهده، مخالفاً لسنة رسوله، يعمل في عباده بالاثم والعدوان، فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخل مدخله»^(٢).

«وفي مجمع البيان عن علي عليه السلام في قوله تعالى:

«وَمَنْ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ» أن المراد بالآية الرجل يقتل على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(٣).

هذه نماذج من الروايات التي تناولت الامر بالمعروف، وتوجد روايات خاصة في قضية خروج زيد سوف ندرسها ايضاً ولكن ينبغي الإشارة إلى

(١) وسائل الشيعة/ ج ١١ / أبواب الامر والنهي / باب ٣ / حديث ٨.

(٢) ثورة الحسين / ص ١٨.

(٣) وسائل الشيعة/ ج ١١ / أبواب جهاد العدو/ باب ٦١ / ح ٢، وهناك روايات اخرى وارده في البحار ج ٦٠ / باب ٣٦ ص ٢١٦ ح ٣٧، وكذلك ماورد في غيبة النعماني ص ١٤٥.

الروايات العامة:

إن تلك الروايات، وخصوصاً خطبة الامام الحسين عليه السلام، توجب الخروج بالسلاح على السلطان الظالم، الذي يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان.

أما رواية مسعدة بن صدقة، وهي الرواية الاولى، وهي صحيحة سنداً، فهي تتضمن شرطاً للأمر بالمعروف، وهو ان يكون الشخص الأمر بالمعروف عالماً بما يأمر به مطاعاً من قبل الآخرين، وحسب نص الرواية: «على القوي المطاع العالم بالمعروف من المنكر لا على الضعيف».

ومن الواضح ان لفظتي القوة والطاعة قد يدلان على ارادة الامام، او القائد الخروج بالسلاح، وإلا فإن الأمر بالمعروف العادي، كما لو أمر فرداً فرداً آخر بالكف عن الظلم، لا يحتاج الى قوة، بل لا يحتاج الى اتباع لطاعته في ذلك، إذ إن المكلف مسؤول عن توجيه الأمر بالمعروف وليس مسؤولاً عن مدى استجابة المأمور له مع وجود احتمال التأثير قبل الأمر أو النهي.

فأصل الخروج بالسلاح على السلطان الظالم أشارت اليه الروايات، التي هي في صدد التعرض للتفاصيل المرتبطة بهذه الوظيفة كتحديد الشروط الزمانية والمكانية، والذاتية، ومقدار تحققها، وكذلك حجم الخطر والمنكر المرتكب.

فقد تجتمع الشروط اللازمة للأمر، لكونه رجل علم وقوة، كما نصت رواية أبي عبد الله الاولى، مع ارتفاع الموانع، وقد لا تجتمع هذه الشروط، أو يختل بعضها، كما لو عدم ذلك الرجل القوي العالم فلا يجب الأمر

بالمعروف بالسلاح .

وتوجد رواية في المقام يتمنى فيها الامام الصادق عليه السلام وجود مثل هذا الرجل الأمر بالمعروف القوي، حيث قال فيها: «وَلَوْ دَدْتُ أَنْ الْخَارِجِي مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ خَرَجَ وَعَلِيٌّ نَفَقَةٌ عِيَالَهُ»^(١).

وفي هذا الضوء يمكن تناول احاديث التقية، فإن في طائفة منها إشارة الى أن التقية إنما تكون بسبب قوة السلطان والخوف من بطشه أو لمصلحة كبيرة، حيث وردت طائفة من روايات التقية تحكي حال أبي طالب، حينما لم يعلن إسلامه من اجل الدفاع عن الرسول. وطائفة اخرى من الروايات أشارت الى قوة نظام الحكم التي يعدم معها الامل بانتصار الثورة. وللتمثال نذكر نموذجاً:

«عن عبد الله بن عطا: قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: رجلان من أهل الكوفة أخذوا فقيلاً لهما: ابرءاً من أمير المؤمنين عليه السلام، فبرئ واحد منهم وأبى الآخر، فحُلِّي سبيلُ الذي برئ، وقُتِلَ الآخر. فقال: أما الذي برئ فرجلٌ فقيه في دينه، وأما الذي لم يبرأ فرجلٌ تعجَّلَ إلى الجنة»^(٢).

وروايات كثيرة على هذا المستوى تكشف ان المناخ السياسي، الذي شرعت فيه التقية، هو أجواء السلطان الظالم الذي لا يتورع عن سفك الدماء. وقد يفترض حاكماً ضعيفاً لا يستطيع مواجهة ثورة مسلحة، ولكن لا يصر أيضاً إلى حمل السلاح مع عدم وجود الموالين والعدة اللازمة

(١) وسائل الشيعة/ ج ١١ / ابواب جهاد العدو/ باب ١٣ / حديث ١٢ .

(٢) المصدر نفسه/ ابواب الامر بالمعروف والنهي/ باب ٢٩ حديث ٤ .

روايات الجهاد بالسلاح □ ١٠٧

للاتتصار . بيدَ أن المشكلة تكمن في ضعف غالبية الروايات باستثناء رواية مسعدة، ومن ثمَّ لا يمكن اعتبارها دليلاً شرعياً على جواز الخروج بالسلاح . إلا إذا قلنا بان مجموع الاخبار يفيد اطمئنان بمشروعية الخروج، ولو مع إضافة فعل الامام الحسين عليه السلام، وإمضاء الامامين الصادق والكاظم عليهما السلام لثورتي زيد بن علي، والحسين بن علي صاحب فخ .

٢- روايات الجهاد بالسلاح :

وبالإضافة الى الروايات التي تناولت مسألة الخروج على الظالم باعتباره أمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، توجد طائفة أخرى من الروايات، تصدت لهذه القضية بعنوان جهاد العدو، ومحاربة السلطان الظالم . ولا بد من استعراض بعض هذه الروايات :

١- قال أبو عبد الله عليه السلام بعد أن ذكر الخارجين على السلطان من العلويين «لا أزال أنا وشيعتي بخير ماخرج الخارجي من آل محمد . ولوددت أن الخارجي من آل محمد خرج وعلي نفقة عياله»^(١) .

٢- قول الامام الكاظم للحسين بن علي صاحب فخ :

«يا ابن عم، إنك مقتول فأجد الضراب فإن القوم فساق، يظهرون إيماناً ويسرون شركاً . وإنا لله وإنا إليه راجعون، أحسبكم عند الله من عصابة»^(٢) .

(١) وسائل الشيعة / ج ١١ / ابواب جهاد العدو / باب ١٣ حديث ١٢ . والرواية ضعيفة بالإرسال .

(٢) الكفاح المسلح في الاسلام / ص ٩٧ .

٣- عن إبراهيم بن إسحاق القطان قال :

«سمعتُ الحسين بن علي، ويحيى ابن عبد الله يقولان: ماخرجنا حتى شاورنا أهل بيتنا، وشاورنا موسى بن جعفر فأمرنا بالخروج»^(١).

٤- إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفى في كتاب الغارات قال: خطب علي عليه السلام: «الى أن ذكرَ الفتن بعده الى ان قام فقام رجل فقال ياأمير المؤمنين مايصنع في ذلك الزمان؟ قال انظروا أهل بيت نبيكم، فإن لبدوا فالبدوا وإن استصرخوكم فانصروهم تؤجروا، ولاتستبقوهم فتصرعكم البلية. ثم ذكر حصول الفرج بخروج صاحب الامر عليه السلام»^(٢). وهذه الروايات يمكن استفادة جواز الخروج منها بدليل قول الامام الصادق عليه السلام: «لوددت»، الظاهر في حب الخروج، الكاشف عن مشروعيته أو استفاد منها الجواز من خلال إمضاء الامام الكاظم عليه السلام لخروج صاحب فنج، إلا ان المشكلة في ان غالبية هذه الروايات ضعيفة السند، ومعارضة بروايات اخرى لاتجيز الخروج. فلايمكن الاعتماد عليها في إثبات المطلوب. ولاريب في أن زيد بن علي قد خرج مجاهداً لسلطان ظالم، حسب تعبير صحيحة العيص بن قاسم التالية، وخرج أمراً بالمعروف ونهاياً عن المنكر. ويوجد في كلمات زيد الكثير من الشواهد على هذا.

فالروايات العامة في باب الامر بالمعروف وباب الجهاد تنطبق على خروج زيد، وتمنحه المشروعية. وإضافةً الى هذا توجد روايات شاهدة على

(١) الكفاح المسلح في الاسلام/ ص ٩٨.

(٢) وسائل الشيعة/ ج ١١ / ابواب جهاد العدو/ باب ١٣ / حديث ١٧.

تأييد الامام لخروج زيد، وهي الروايات الخاصة في المقام . فلنستعرضها ثم نحاول معرفة دلالتها:

١- «عن عيص بن القاسم، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له، وأنظروا لأنفسكم، فوالله، إن الرجل ليكون له الغنم فيها الراعي، فإذا وجد رجلاً هو أعلم بغنمه من الذي هو فيها، يخرج به ويحيى بذلك الرجل الذي هو أعلم بغنمه من الذي كان فيها. والله لو كانت لاحدكم نفسان يقاتل بواحدة يجرب بها، ثم كانت الاخرى باقية يعمل على ما قد استبان لها، ولكن له نفس واحدة إذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة. فأنتم احق أن تختاروا لأنفسكم. إن أتاكم آت منا فانظروا على أي شيء تخرجون؟ ولا تقولوا خرج زيد، فإن زيدا كان عالماً، وكان صدوقاً، ولم يدعكم الى نفسه، وإنما دعاكم الى الرضا من آل محمد عليهم السلام. ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه. إنما خرج الى سلطان مجتمع لينقضه. فالخارج منا اليوم الى أي شيء يدعوكم الى الرضا من آل محمد عليهم السلام، فنحن نشهدكم أنا لسنا نرضى به وهو يعصينا اليوم وليس معه أحد...»^(١).

٢- عن سليمان بن خالد قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: كيف صنعتم بعمي زيد؟ قلت: إنهم كانوا يحرسونه، فلما شفَّ الناس أخذنا جثته فدفناه في جرف على شاطئ الفرات، فلما أصبحوا جالت الخيل يطلبونه فوجدوه فاحرقوه». فقال عليه السلام: أفلا أوقرتموه حديداً والقيتموه في الفرات؟ صلى الله

(١) وسائل الشيعة/ ج ١١/ ابواب جهاد العدو/ باب ١٢/ حديث ١.

عليه ولعن قاتله»

وكلتا الروایتين تامة سنداً.

والرواية الاولى صريحة في أن خروج زيد كان مرضياً من قبل الامام؛
لأنه جهاد ضد الطاغوت، إذ ورد في الرواية قوله ﷺ: «فالخارج منا الى ايّ
شيء يدعوكم الى الرضا من آل محمد ﷺ، فنحن نشهدكم على انالسننا
نرضى به»

والتقابل بين عدم رضاه من خروج الخارج المذكور، ومدح زيد ودعواه
في الرضا من آل محمد، يكشف عن رضا الامام عن خروجه.
نعم، إن خروجه أدى الى شهادته. ولعل الروايات الواردة في ذم
خروج زيد (وهي ضعيفة سنداً) يمكن حملها على هذا، أي على أن الامام
يعرف أن زيدا سيقتل فحاول منعه حفظاً له، لا أن خروجه محل منع من
الامام. كما أن في الرواية مدحاً بالغاً لزيد، حيث وصفه الامام بأنه صدوق
وعالم، وأنه كان مخلصاً في دعواه للرضا من آل محمد. وهذا الثناء من
الامام يكفي في بيان أن خروجه كان مرضياً من قبله ﷺ. بل من قوله ﷺ:
«لو ظهر لوفى بما دعاكم اليه» والاشارة فيه الى دعوة زيد للرضا من آل
البيت، وبسط العدل في الناس، يمكن إثبات أن خروجه كان مرضياً من
الامام ﷺ.

أما الرواية الثانية فهي صريحة في الترحم على زيد، وفي لعن قاتله
الظالم مما يكشف أن شهادة زيد وقعت في سبيل الله.

فهاتان الروايتان الصحيحتان تدلان على مشروعية خروج زيد (رض).

ويضاف إليها روايات عديدة فيها مدح بالغ لزيد^(١) وكذلك ماورد من تأييد الامام علي بن الحسين عليه السلام لخروج المختار بن أبي عبيدة الثقفي، حين خرج وسيطر على الكوفة تحت شعار الثار لدماء الحسين، وكان خروجه وعمله محل قبول من قبل الامام السجاد عليه السلام، ووجه التأييد أن المختار لم يكن من أهل البيت، ولم يكن بوجاهة ومقام زيد ومع ذلك يحضى برضا الامام^(٢) فكيف الحال مع زيد بن علي وهو ابن السجاد عليه السلام، وأخو الباقر عليه السلام، وعم الصادق عليه السلام، وهو العارف الصادق، التقي العالم، بصريح العبارات؟.

بقيت الروايات الصريحة في منع زيد من الخروج من قبل الامام الباقر، والامام الصادق عليه السلام مثلاً الرواية الواردة عن الامام الباقر عليه السلام وهو يناقش زيدا: «ان الطاعة مفروضة من الله والمودة للجميع، وأمر الله يجري لاوليائه بحكم موصول، وقضاء مفصول، وحتم مقضي، وقدر مقدور، وأجل مسمى لوقت معلوم، فلا يستخفك الذين لا يوقنون، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، فلا تعجل؛ فإن الله لا يعجل لعجلة العباد، ولا تسبقن الله فتعجزك البلية فتصرعك. قال: فغضب زيد عند ذلك ثم قال: ليس الامام منا من جلس في بيته وأرخى سترة وثبط عن الجهاد، ولكن الامام منا من منع حوزته، وجاهد في سبيل الله حق جهاده، ودفع عن رعيته، وذبح عن

(١) للاطلاع على هذه الروايات راجع عيون اخبار الرضا / باب ٢٥ في زيد بن علي، والامالي للصدوق / ص ٢٢١ حديث ٣ / والارشاد للمفيد ص ٢٦٩.

(٢) هذا اذا لم يناقش في هذا الوجه بدعوى ان زين العابدين رحب بقتل قتلة الحسين عليه السلام وهو غير المدعى فلا يؤيد هذه الروايات الخروج بالسلاح.

حريمه . قال أبو جعفر: هل تعرف يا أخي من نفسك شيئاً مما نسبتها اليه فتجيء عليه بشاهد من كتاب الله، أو حجة من رسول الله، أو تضرب به مثلاً فإن الله عزوجل أحل حلالاً، وحرّم حراماً، وفرض فرائض، وضرب أمثالاً وسنّ سنناً، ولم يجعل الامام القائم بأمره شبهه فيما فرض له من الطاعة أن يسبقه بأمر قبل محله، أو يجاهد فيه قبل حلوله، وقد قال الله عزوجل في الصيد: ﴿لَاتَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ (الى أن قال ﷺ): فإن كنت على بينة من ربك، ويقين من أمرك، وتبين من شأنك، فشأنك، وإلا فلا ترومنّ أمراً أنت فيه في شكّ وشبهة، ولا تتعاطّ زوال ملك لم تنقض أكله، ولم ينقطع مداه، ولم يبلغ الكتاب أجله...»^(١). ويرد على هذا الحديث ما يلي:
اولاً: انه ضعيف سنداً، بجهالة الحسين بن الجارود وموسى بن بكر بن داب، وبإرساله أيضاً.

ثانياً: يمكن حمل الرواية على أن الامام الباقر ﷺ يريد أن يرشد زيدا الى أن الخروج ليس وقته الآن، وإنما سوف يأتي وقت ملائم، بدليل ذيل الرواية.

وفي حديث آخر للامام الباقر يقول فيه لشيعة: «اسكتوا ماسكنت السماوات والارض (أي لاتخرجوا على أحد)، ولا تكونوا ممن أرداه الهوى والعجلة، ومال به الحرص عن الهدى والمحنة البيضاء. وفقنا الله وإياكم لما فيه من السلامة من الفتن»^(٢).

(١) الاصول من الكافي / ج ١ / ص ٣٥٦.

(٢) الكفاح المسلح في الاسلام / ص ١٤٢.

وهناك روايات كثيرة على هذا المستوى من الظهور.

ثالثاً: أنا نستبعد ان تصدر هذه المناقشة من زيد مع الامام الباقر عليه السلام الذي رباه صغيراً، وقبل خروج زيد بحدود احدى عشرة سنة.

الى هنا ننتهي من بحث أهداف الثورة، بيد أن ثمة بحثاً مهماً يرتبط بالشروط العامة التي يجب أن تتوافر لإعلان الثورة ضد الحكم الظالم، إذ البحث في شروط الثورة في الوقت الحاضر لا يخلو من نفع، وقبل البدء بذلك نذكر ان المراد من مصطلح الامام الذي نستعمله «الاعم» من الامام الاصل ومن الفقيه الجامع للشروط. على القول بأن ما للامام من وظائف، ومنها الإذن بالكفاح المسلح ضد النظام المنحرف. والآن لندرس تلك الشروط:

اولاً: اذن الامام في الثورة

لا بد أن يظفر القائم بالثورة بإذن الامام في الخروج على الحاكم الفاسق، ويمكن استفاضة هذه الشرط من الادلة التالية:

١- خروج زيد بن علي بعد مشورة الامامين الباقر والصادق عليهما السلام، فإنه شاورهما في ذلك فأجازا له الخروج، رغم علمهما بأنه سوف يستشهد، وعلّق الامام اجازته بالخروج لزيد برضاه بذلك المصير، ومن هذه الروايات التي تدل على مشاورة زيد للامام الصادق عليه السلام: ما عن ابن ابي عبدون عن ابيه قال: «لَمَّا حَمَلَ زَيْدُ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْمَأمُونِ، وَقَدْ خَرَجَ بِالْبَصْرَةِ، وَأَحْرَقَ دُورَ وَوَلَدِ الْعَبَّاسِ وَهَبِ الْمَأمُونِ جَرْمَهُ لِأَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرَّحْبَانِيِّ، وَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، لَئِنْ خَرَجَ أَخُوكَ وَفَعَلَ مَا فَعَلَ لَقَدْ خَرَجَ

قبله زيد بن علي فقتل، ولولا مكانك مني لقتلتُهُ، فليس ما أتاهُ بصغير. فقال الرضا عليه السلام: يا أمير المؤمنين لا تنفس أخي زيدا إلى زيد بن علي، فإنه كان من علماء آل محمد، غضب الله عز وجل فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله، ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر عليه السلام انه سمع أباه جعفر بن محمد بن علي عليه السلام يقول: رحم الله زيدا، إنه دعا إلى الرضا من آل محمد، ولو ظفر لوفى بما دعا إليه، ولقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عم، إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشانك. فلما ولي قال جعفر بن محمد: ويل لمن سمع داعيته فلم يجبه...»^(١).

وروايات أخرى موجودة على هذا المستوى في خصوص زيد.

٢- ماتضمنته رواية عن صاحب فخر انه شاور الامام موسى الكاظم عليه السلام وهي: «حدثنا إبراهيم بن إسحاق القطان قال: سمعت الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله يقولان: ماخرجنا حتى شاورنا أهل بيتنا وشاورنا موسى بن جعفر عليه السلام فأمرنا بالخروج»^(٢).

وكذلك قول الامام الكاظم عليه السلام له صريحا: «يا ابن عم أنك مقتول فأجد الضراب فإن القوم فساق يظهرون إيمانا ويسرون شركا وإنا لله وإنا إليه راجعون، أحسبكم عند الله من عصابة ثم خرج الحسين»^(٣).

٣- حيث ان العمل العسكري ضد الحاكم الفاسق يتضمن قتلا وجرحا

(١) عيون اخبار الرضا / ج ١ / ص ٢٤٨.

(٢) الكفاح المسلح / ص ٩٩.

(٣) المصدر نفسه / ص ٩٧.

فلا بد من تحصيل اذن الامام عليه السلام وفي هذا المجال كتب صاحب الجواهر: «وكيف كان فلو افتقر الى الجراح أو القتل هل يجب؟ قيل والقائل السيد والشيخ في التبيان والحلي والعجلي والفاضل في جملة من كتبه ويحيى بن سعيد والشهيد في (النكت) على ما حكى عن بعضهم: نعم يجب وقيل، والقائل الشيخ والديلمي والقاضي وفخر الاسلام والشهيد والمقداد والكركي على ما حكى عن بعضهم: لا يجوز الا بإذن الامام عليه السلام. بل في المسائل هو أشهر. بل في مجمع البرهان هو المشهور. بل عن الاقتصاد:

الظاهر من شيوختنا الإمامية أن هذا الجنس من الإنكار لا يكون إلا للائمة عليها السلام، أو لمن يأذن له الامام عليه السلام فيه»^(١).

وتلك الروايات تشير الى ان الخارجين من أنصار أهل البيت يشاورون الائمة عليها السلام، ويكسبون اذنهم.^(٢) وقد يؤدي هذا المعنى رواية الريان بن الصلت انه «قال للامام الرضا: إن العباسي (وهو رجل يسغض الامام) يسمعي فيك ويذكرك، وهو كثيراً ما ينام عندي ويقل، فترى أن اخذ بحلقه وأعصره حتى يموت ثم أقول: مات ميتة فجأة؟ فقال: ونفض يديه ثلاث مرات: لا ياريان، لا ياريان، لا ياريان.

فقلت له ان الفضل بن سهل هوذا يوجهني الى العراق في أمور له والعباسي خارج بعده بأيام الى العراق، فترى أن أقول لمواليك القميين أن

(١) جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام/ ج ٢١/ ص ٣٨٢.

(٢) يرى بعض الباحثين ان جميع ثورات بني الحسن غير مشروعة وان تالم الائمة على مقتل قياداتها، وأن ثورة زيد هي الثورة الوحيدة التي حُضيت بالإذن من الامام الصادق عليه السلام.

يخرج منهم عشرون أو ثلاثون رجلاً كأنهم قاطعوا الطريق أو صعاليك، فإذا اجتاز بهم قتلوه. فسكت فلم يقل نعم ولا لا ... (الي ان قال): فاستشاره فيما قلت له فقال (معمر): لاندري سكوته أمر أو نهى، ولم يأمرك بشيء فليس الصواب ان تتعرض له (اي العباسي)»^(١).

والسؤال المطروح هو: لماذا اشترط العمل العسكري بإذن الامام؟ والجواب يتلخص في النقاط التالية:

أولاً: إن نوع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر المقترن بالجرح والقتل إنما هو من وظائف الامام - كما يرى صاحب الجواهر وطائفة من الفقهاء - فلا يحق لاحد أن يمارس هذا اللون من النهي بدون اذنه.

ثانياً: قطع الطريق على الذين يحاولون الاكتساب من الاعمال العسكرية، فلا يمكن لأي فرد ان يدعي حقاً في قيادة عمل عسكري ضد الحكم القائم تحت ستار الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، في حين انه يضمّر نوايا غير مخلصة، أو لا يعرف مواطن استعمال القوة.

ثالثاً: إن القيام العسكري يزلزل النظام الاجتماعي، ويهز الوضع العام، ومن الواضح أنه ليس كل فرد يستطيع أن يحكم بأن خلخلة النظام الاجتماعي مرجوح أمام احتمال الانتصار، إنما الامام - فقط - يستطيع تحديد القرار الحكيم في ذلك، فهو الذي يشخص مثلاً ضرورة القيام العسكري حتى لو أدى الى تداعي الوضع العام، وهو الذي يحدد حجم ذلك التداعي المسموح به شرعاً. وإذا كان الامر كذلك فلا بد من الظفر بأذنه لكي يقع

(١) قرب الاسناد/ ص ١٥٠.

العمل العسكري في مجراه العام، والهادف الذي يصممه الامام .
هذه بعض معطيات اشتراط اذن الامام في الخروج، وهي بمجموعها
تنظر الى الأهميات، بعيداً عن العاطفة التي لا يسلم منها الافراد بما فيهم
الصلحاء والعلماء، فكيف بعامه الناس؟

ثانياً: مؤهلات قائد الثورة

نقصد بالمؤهلات الشروط العلمية التي يجب ان تتوفر في قائد الثورة،
ونوعية الولاء الذي يكنه وحقيقته دوافعه، وقدرته على إدارة العمل
العسكري وقيادته . اذ ليس كل فرد يستطيع أن يخوض العمل العسكري ضد
النظام، وإنما لا بد من نوعية متميزة من الافراد، وهذه المعنى يمكن استظهاره
من الروايات التالية:

١- عن مسعدة بن صدقة عن ابي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول:

«وسئل عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أو واجب هو على الأمة
جميعاً؟ فقال: لا . فقليل له: ولم؟ قال: إنما هو على القوي المطاع العالم
بالمعروف من المنكر لا على الضعيف الذي لا يهتدي سبيلاً الى أي من أي،
يقول من الحق الى الباطل، والدليل على ذلك كتاب الله (الى ان
يقول عليه السلام): وليس على من يعلم ذلك في الهدنة من حرج إذا كان لاقوة له
ولا عدد ولا طاعة»^(١).

٢- «عن العيص بن القاسم عن ابي عبد الله عليه السلام قال: ولا تقولوا: خرج
زيد، كان زيد عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم الى نفسه وإنما دعاكم الى

(١) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٤٠٠ / ح ١٠

الرضا من آل محمد، ولو ظهر لوفى بما دعاكم اليه»^(١).

٣- قول الامام الرضا عليه السلام: للمأمون وهو يمنعه من قياس خروج زيد بن علي (رض) بخروج زيد بن موسى: إن زيد بن علي لم يدع ماليس له بحق، وإنه كان أتقى لله من ذلك. إنه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام^(٢).

وهذه الروايات بعضها يُلقي الضوء على مؤهلات الشخص الذي يتولى الامر بالمعروف الخاص الذي يستوجب طاعة وأعاوناً، وهذا معنى من معاني مواجهة الحاكم الفاسق، وبعضها يتضمن خصائص زيد، حيثُ تعلق خروج زيد بانه عالم وصدوق في رفع شعار الرضا من آل محمد. ومن هذه الروايات يمكن تسجيل خصائص العمل العسكري ضد الحاكم الفاسق:

١- علم القائد بشريعة الله.

٢- الاعتقاد بحقانية أهل البيت عليهم السلام بالامامة.

٣- الامكانيات اللازمة من الرجال والسلاح للقيام بالعمل العسكري.

٤- تحديد الاهداف بدقة مع امكان تحقيقها.

فهذه المؤهلات والشروط تجعل العمل العسكري عملاً مشروعاً يستهدف إزالة الطاغوت، وتسليم السلطة لأصحابها الشرعيين، وهم الائمة عليهم السلام «والفقهاء العدول في عصرنا الراهن»، وتوفر الحد الأدنى اللازم للحكم بجواز العمل العسكري.

(١) المصدر السابق / ص ٣٥ / ح ١.

(٢) عيون اخبار الرضا / ج ١ / ص ٢٤٩.

الفصل الرابع

وقائع الثورة

انكشف أمر زيد، واستعداده للقيام بالثورة عن طريق الجواسيس المندسّين في صفوف زيد، فقام والي الكوفة بعدة تدبيرات لتصفية الثورة قبل انطلاقها.

وكان يوسف في الحيرة، وكان الحاكم عنه في الكوفة الحكم بن صلت. فأرسل يوسف إلى الحاكم أن يجمع أهل الكوفة في المسجد، ويمنعهم من الخروج لشؤونهم إلى حين القاء القبض على زيد^(١).

وكان من المقرر أن لا يخرج زيد في ليلة الأربعاء الأخيرة من صفر عام ١٢٢هـ، ولكن القوات الشاميّة راحت تبحث عنه فذهب إلى دار معاوية بن إسحاق، وقرر الخروج في ليلة الأربعاء، فرفع أصحابه الهراوي وفيها النيران ونادوا:

«يامنصور أمت»^(٢) وهو شعار الثورة، وكانت ليلة الأربعاء ليلة شديدة

البرد.

(١) تاريخ الطبري / ج ٨ / ص ٢٧٢ .

(٢) المصدر نفسه / ص ٢٧٣ .

أما زيد فراح يسعى في الليل لجمع الذين بايعوه، فأرسل قاسم التنعي مع رجل فواجه بعض جند الشام فقتل الرجل وأسر القاسم وأحضر إلى يوسف بن عمر فأمر بقتله^(١).

وبعث زيد سعيد بن خثيم وكان رجلاً صيتاً ينادي بشعار الثورة. ويبدو أن زيداً لم يضع خطة محددة، حيث راح يقسم أنصاره إلى جماعات، ويرسلها إلى مناطق متعددة لمقاتلة تجمعات جند النظام... فمن المحتمل أن تكون خطة زيد القضاء على قوات النظام أولاً، ثم تصفية الأمور ثانياً. لذلك حين سمع نصر بن خزيمة شعار الثورة أقبل إلى زيد بن علي فأرسله مع مجموعة للهجوم على مراكز تجمع جند الشام، فذهب فالتقى بعمر بن عبد الرحمن، فحمل عليه نصر فقتله، وفر أصحابه^(٢).

ورغم أن زيداً ركز في الليلة الأولى على جمع أنصاره ومؤيديه، إلا أنه لم ينجح في ذلك بسبب محاصرته في المسجد، وبسبب تباطؤ بعضهم عن الالتحاق به، فمثلاً وقف زيد على دار أنس وكان من الذين بايعوه وطلب منه الخروج بقوله: «أخرج يا أنس، فقد جاء الحق زهق الباطل».

ولكن أنساً لم يرد الجواب فقال زيد: «ما أخلفكم قد فعلتموها. الله حسيبكم»^(٣). فتالم زيد لذلك، وتساءل بحرارة أين الناس؟ فأجابه نصر بن خزيمة أن الناس محصورون في المسجد، فقال زيد: ما هذا والله بعذر لمن

(١) مقاتل الطالبين / ص ٩٣.

(٢) تاريخ الطبري / ج ٨ / ص ٢٧٣.

(٣) المصدر نفسه / ص ٢٧٣.

بايعنا. فقال نصر لزيد: «فامض بنا اليهم، فخرج زيد بمن معه يريد المسجد فمر على دار خالد بن عرفطة وبلغ عبد الله بن عباس الكندي - وكان قائداً من قواد يوسف بالكوفة - إقباله فخرج اليه في أهل الشام الذين كانوا بالكوفة، وأقبل زيد اليه فالتقوا على باب عمر بن سعد بن أبي وقاص، فكاع صاحب لواء عبيد الله - وهو مولى له - فقال له: احمل يا ابن الحبيثة فحمل حتى انصرف وقد خضب لواءه»^(١).

«وجاء زيد وأصحابه حتى انتهوا الى باب الفيل، فجعل أصحاب زيد يدخلون راياتهم من فوق الابواب ويقولون: يا أهل المسجد اخرجوا وجعل نصر بن خزيمة يناديهم ويقول: يا أهل الكوفة اخرجوا من الذل الى العز، اخرجوا الى الدين والدنيا فإنكم لستم في دين ولادنيا، فأشرف عليهم أهل الشام فجعلوا يرمونهم بالحجارة من فوق المسجد وكان يومئذ جمع كبير بالكوفة»^(٢).

ويبدو أن زيدا لم يكن يعرف أن الناس قد حوصروا في المسجد، لذلك تساءل أين الناس؟ فقال له نصر: ان الناس محصورون في المسجد. فحاول زيد فك الحصار المضروب على أنصاره في المسجد ولكنه فشل لاسباب:

١- قلة أنصاره في عملية فك الحصار عن المسجد.

٢- مقاومة جند الشام بقيادة عبيد الله بن عباس الكندي، لعملية فك

الحصار.

(١) انساب الاشراف / ج ٣ / ص ٢٤٦.

(٢) تاريخ الطبري / ج ٨ / ص ٢٧٤.

٣- ان المحصورين في الداخل تأخروا عن الاستجابة لدعوة زيد .

ولما يثس زيد من فك الحصار، قرر مواصلة خطة تصفية الكوفة من قوات الشام، وضرب تجمعاتهم، وكانت نقطة انطلاق زيد من جبانة سالم، ثم تحرك باتجاه جبانة الصيادين، حيث التقى بقوة من أهل الشام مؤلفة من (٥٠٠) مقاتل، فحمل عليهم، ووقعت المعركة الاولى حيث استطاع زيد أن يكبدهم فيها بعض الخسائر، وفر الآخرون من المواجهة .

ثم «انتهى زيد الى الكناسة فحمل على جماعة بها من أهل الشام فهزموهم، ثم خرج حتى ظهر الى الجبانة ويوسف بن عمر على التل ينظر اليه هو وأصحابه، وبين يديه حزام بن مرة المزني وزمزم بن سليم الثعلبي وهما على المجففة، ومعه نحو من مئتي رجل، والله لو أقبل على يوسف لقتله . والريان بن سلمة يتبع اثر زيد بن علي بالكوفة في أهل الشام، ثم إن زيدا أخذ ذات اليمين على مصلى خالد بن عبد الله حتى دخل الكوفة، وكانت فرقة من أصحاب زيد بن علي حيث وجهت الى الكناسة قد انشعبت نحو جبانة مخنف بن سليم، ثم قال بعضهم لبعض: الا ننطلق نحو جبانة كنده؟ قال: فما زاد الرجل على أن تكلم بهذا الكلام وطلع أهل الشام، فلما رأهم دخلوا زقاقاً فمضوا فيه، وتخلف رجل منهم فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين، ثم خرج اليهم فقاتلهم ساعة، ثم انهم صرعوه فجلعوا يضربونه بأسياقهم، فنادى رجل منهم فارس مقنع بالحديد: ان اكشفوا المغفر، ثم اضربوا رأسه بعمود حديد، ففعلوا وقتل وحمل أصحابه عليهم فكشفوهم عنه وقد قتل، وانصرف أهل الشام وقد اقتطعوا رجلاً، ونجا

سائرهم فذهب ذلك الرجل حتى دخل دار عبد الله بن عوف فدخل أهل الشام عليه فأسروه، فذهب به إلى يوسف بن عمر فقتله»^(١).

أما زيد بن علي وجنوده فإنه التقى مع الريان بن سلمة، فقاتله عند دار الرزق قتالاً شديداً، فجرح منهم ناس كثير، وقتل منهم ناس كثير، وتبعهم أصحاب زيد من دار الرزق إلى المسجد^(٢).

وانتهى القتال في يوم الأربعاء لصالح قوات زيد، وفي الليل التحق بزيد بعض الانصار بعد أن ترددت انتصاراته في الكوفة، واستقرت قوات زيد في دار الرزق، وهو ملجأ لحفظ الاموال، الارزاق، وهو مكان حصين لان النهر يشكل أحد أضلاعه، وبنى زيد جدارين كبيرين على ضلعين آخرين، وجمع قطعاً من الخشب في الضلع الرابع للمنع من اختراق الحصن.

والاخفاق الوحيد الذي مني به زيد في اول يوم من الثورة هو فشله في اختراق المسجد. والذي يلاحظ أنه لم يبذل جهوداً من أجل ذلك، وإنما اكتفى بتهيئة الفرصة للمحجوزين للاتحاق به لو أرادوا ذلك.

وفي يوم الخميس دعا يوسف بن عمر الريان بن سلمة، ولكنه لم يكن حاضراً، فدعا العباس بن سعيد صاحب الشرطة مع قوات من أهل الشام وارسله لقتال زيد، فالتقى معه في دار الرزق، وكان على ميمنة زيد نصر بن خزيمة، وعلى ميسرته معاوية بن إسحاق. وأبصر نائل بن فروة نصر بن خزيمة، وقد كان نائل أقسم أن يقتل نصراً حالما يراه، وأعطاه يوسف بن

(١) تاريخ الطبري / ج ٨ / ص ٢٧٤.

(٢) المصدر نفسه / ص ٢٧٥.

عمر لهذا الغرض سيفاً قاطعاً، فضرب به فخذ نصر فقطعه، وضربه نصر فقتله، ومالبت أن استشهد نصر متأثراً بجراحه. ورغم هذه الخسارة الجسيمة التي مني بها زيد بفقدان نصر الذي ضرب المثل الأعلى في الاخلاص والشجاعة حتى انه قال لزيد: «إنما عليّ أن أضرب بسيفي حتى أموت»^(١). اقول عليّ رغم ذلك فإن زيدا استطاع أن يلحق بقوات العباس بن سعيد خسائر ملحوظة تقدر بسبعين قتيلاً^(٢).

ولكن يوسف بن عمر عبأهم من جديد، وبعثهم لقتال زيد في عشية يوم الخميس، فحمل عليهم زيد في أصحابه، فكشفهم، ثم تبعهم حتى أخرجهم من السبخة، ثم شدّ عليهم حتى أخرجهم إلى بني سليم، ثم تبعهم في خيله ورجاله حتى أخذوا عليّ المسناة وكان صاحب لواء زيد في هذه المعركة عبد الصمد بن أبي مالك بن مسروح من بني سعد، فجعلت خيل العباس لا تقف أمام هجمات قوات زيد، فبعث العباس إلى يوسف طلب النجدة، فأجده بفرقة من الرماة بقيادة سليمان بن كيسان الكلبي، فحاول زيد أن يدفعهم إلى السبخة، فقتل معاوية بن إسحاق^(٣) وهو الرجل المهم الآخر بعد نصر بن خزيمه، وما لبث أن ضرب زيد بسهم في جبهته اليسرى فبلغ دماغه، فرجع مع أصحابه إلى دار الجزارين التي بالسبخة^(٤).

(١) انساب الاشراف / ج ٣ / ص ٢٤٦.

(٢) تاريخ الطبري / ج ٨ / ص ٢٧٥.

(٣) المصدر نفسه / ص ٢٧٥ بتصرف.

(٤) انساب الاشراف / ج ٣ / ص ٢٥٠.

فبعث اليه بطبيب اسمه (سفيان مولى لبني دواس) وطلبوا اليه قلع النصل الذي استقر في جبهة زيد فقال الطبيب له : «إنك ان نزعته من رأسك مت» فقال : الموت أيسر علي مما أنا فيه ، فأخذ الكلبتين فانتزعه فساعة انتزاعه مات»^(١)

فحفر له أصحابه قبراً وسط النهر من أجل إخفاء قبر زيد ، وذلك خوفاً على بدنه من التمثيل ، ولكن عبداً سندياً كان معهم كشف ذلك ليوسف بن عمر فاستخرجه ، وصلبه ، وبعث برأسه الى هشام بن عبد الملك الذي أرسله الى المدينة فعُلّقَ عند قبر الرسول ﷺ ، ثم طيف به في مصر ، فسرقه بعض الانصار ودفنه .

وتفرق أصحاب زيد في الليل ، واختفى ابنه يحيى عند سابق وهو مولى لبشر بن عبد الملك ، ثم اختفى عند بشر مدة أخرى ، ثم هرب الى الري . وبعد قتل زيد بعث يوسف بن عمر الى أم امرأة لزيد أزدية فهدم دارها وحملها اليه فقال لها : أزوجت زيدا؟ قالت : نعم ، زوجته وهو سامع مطيع ، ولو خطب اليك اذا كان كذلك لزوجته . فقال : شقوا عليها ثيابها ، فجلدها بالسياط وهي تشتمه وتقول : ما أنت بعربي ، أتعربني وتضربني لعنك الله فماتت تحت السياط! .

ثم أمر بها فألقيت في العراء فسرقها قومها ودفنوها في مقابرهم . وكذلك أخذ يوسف امرأة قوت زيدا على أمره فأمر بها أن تقطع يدها ورجلها ، فقالت : اقطعوا رجلي أولاً حتى أجمع علي ثيابي ، فقطعت يدها

(١) مقاتل الطالبين / ص ٩٦ .

ورجلها ولم تحسم حتى ماتت وضرب عنق زوجها .
 وأتي يوسف بعبد الله بن يعقوب السلمي ، وكان زوج ابنته من يحيى بن
 زيد فقال له يوسف : ائمني بابتك ، قال : وما تصنع بها؟ جارية عاتق في
 البيت . قال : أقسم لتأتيني بها أو لأضربن عنقك ، فابى ان يأتيه بابنته
 فضرب عنقه ، وأمر العريف أن يأتيه بابنة عبد الله بن يعقوب فابى فأمر به
 فدقت يده ورجله^(١) .

(١) انساب الاشراف / ج ٣ / ص ٢٥٥ .

الفصل الخامس

عوامل فشل الثورة

رغم أن زيد بن علي (رض) استعد للقيام بثورته، وعملَ طويلاً في الكوفة وامتدت نشاطاته إلى مدن إيران فضلاً عن الولايات العراقية المشهورة كالبصرة مع كل ذلك، فإنه فشل في ثورته. والسؤال هو لماذا فشل زيد في تحقيق الانتصار على والي الكوفة؟

هنالك عوامل عديدة أدت إلى هذه النهاية المفجعة لثورة زيد، يجدر بنا أن نتناولها، ونركز بشيء من التفصيل على نفسية القاعدة الشعبية للثورة وندرس الظروف التاريخية، والسياسية والنفسية لمجتمع الكوفة باعتباره مادة الثورة ولأن أحجام مجتمع الكوفة في اللحظات الحاسمة عن المشاركة بالثورة أدى إلى انهيارها أمام قوات الشام.

ولنتناول أولاً: عوامل إخفاق الثورة، ثم نفضّل الحديث بعد ذلك في الحالة الفكرية، والنفسية للمجتمع الكوفي:

أولاً: قوة النظام الأموي

كان الظرف التاريخي الذي انفجرت فيه الثورة - من سوء الحظ - في

زمان قوة البيت الاموي ... وشدة سيطرته وبطشه، وهيمته على الساحة العامة، ويمكن أدراك هذه الحقيقة من خلال ما يلي :

١- حجم الفتوحات والانتصارات العسكرية التي تحققت في هذه الفترة وخاصة في عهد الوليد، وسليمان ابني عبد الملك، مما أوجد للبيت الاموي موارد مالية ضخمة، وقوات عسكرية جاهزة تحت الطلب بعد توقف الفتوحات .

٢- نتائج سياسة عمر بن عبد العزيز التي اتبعتها إزاء الفرق الاسلامية، وفي إدارة الدولة، التي أسفرت عن تنفيس الوضع العسكري، واستقرار الاوضاع نسبياً .

٣- ضعف الحركات المضادة للبيت الاموي (باستثناء حركات الخوارج) سواء نتيجة للضربات التي تلقتها، أو لأنها مارست استراتيجية خاصة في العمل كالحركة العباسية .

٤- استقرار الحكم لصالح هشام بن عبد الملك، فلم ينازعه أحد من البيت الاموي في سلطانه كما لم تنفجر حروب ضده .

ويصف الدنيوري الوضع العام في زمن هشام بقوله: «وذكروا أنه لم يكن في بني أمية ملك أعظم من هشام ولا أعظم قدراً ولا أعلى صوتاً منه دانت له البلاد وملك جميع العباد وأديت له الجزية من جميع الجهات من الروم والفرس والترك والافرنج والزنج والسند والهند»^(١) .

(١) الامامة والسياسة / ج٢ / ص ١٢٨ .

ثانياً: إجراءات والي الكوفة ضد الثورة

لقد عرفنا سابقاً أن أشتعال الثورة في الكوفة لم يكن عملاً منفصلاً عن الاحداث التاريخية التي شهدتها الساحة، بل سبقه ارهاصات ومواجهات بين زيد ذاته وبين البيت الاموي ورموزه. ولعل أهمها المنازعة الكلامية الحادة بين زيد وبين هشام نفسه في دمشق، وتبعها سلسلة اجراءات قام بها هشام للحط من كرامة زيد.

فالسُلطة إذن تعرف ان زيدا يسعى للاطاحة بالحكم الاموي، لذلك مارست أيام الثورة، وماقبلها عدة إجراءات ساهمت بشكل ملحوظ في إخماد الثورة وهي:

١- الضغط على زيد أثناء وجوده في الكوفة حتى أبعد عنها بصحبة مجموعة من الشرطة، ولكن زيدا عاد بعد ذلك سراً الى الكوفة.

٢- بعد أن عسرف يوسف بن عمر أن زيدا في الكوفة يهيئ للثورة، حاول معرفة خططه وأهدافه فقد «دسّ مملوكاً له خراسانياً الكن، وأعطاه خمسة آلاف درهم، فأمره أن يلبطاً (يتصل) لبعض الشيعة فيخبره أنه قدم من خراسان حباً لأهل البيت، وأن معه مالا يريد تقويتهم فلم يزل يتدسس حتى أدخل على زيد، ثم دل يوسف عليه، فوجه اليه الخيل فخرج زيد ونادى بشعاره فخرج اليه أقل من ثلاثمئة»^(١).

فعيون يوسف بن عمر، وجواسيسه كانت تراقب حركة زيد باستمرار،

(١) انساب الاشراف/ ج٣/ ص٢٤٤.

وتسجل أنشطته مما أدى إلى قمع حركته .

٣- ولعل أهم الاجراءات التي قصمت ظهر الثورة هي حصر أهل الكوفة في المسجد، ومنعهم من الخروج، إذ إن الكثير من المحصورين كانوا من الذين بايعوا زيداً، وبالتالي فإن زيداً حين خرج لم يجد أنصاره على أهبة الاستعداد للاستيلاء على قصر الامارة ومحاصرة انصار الحكم وتصفية قواته العسكرية .

٤- سرعة نقل خبر بيعة الناس لزيد إلى دمشق، حيثُ قام هشام بدوره بنجدة يوسف بن عمر حيث «بعث عامر بن ضبارة المري إلى يوسف ومعه ثمانية آلاف»^(١) .

٥- حصن يوسف بن عمر مدينة واسط، وتوثق من أبوابها بعد أن عرف أن أهلها بايعوا زيداً، وكذلك فعل في المدائن، وشحن واسطاً بالخيول»^(٢) .

هذه الاجراءات قبل اشتعال الثورة . أما بعد خروج زيد فإن يوسف بن عمر عمل بجهد وحزم وسرعة في مواجهة زيد، فلم يسمح له، بالتفكير في الخطوة اللاحقة للثورة، فقد راح يعبئ له القوات، فاذا خسرت جولة امام زيد عززت تلك القوات، وزج بها من جديد لمواجهة زيد، وهكذا على مدى يومين، أي يومي الاربعاء والخميس . كانت المعركة حامية ضد زيد، صحيح أن زيداً ألحق بقوات الشام خسائر فادحة، بيد أن تلك القوات تُعوض خسائرها من جديد، في حين أن خسائر زيد لاتعوض .

(١) انساب الاشراف / ج ٣ / ص ٢٤٨ .

(٢) المصدر نفسه / ص ٢٤٠ .

إجراءات والي الكوفة ضد الثورة □ ١٣٥

٦- استطاع يوسف بن عمر أن يقتل أهم رجلين اعتمد عليهما زيد في ثورته، وهما: نصر بن خزيمة، ومعاوية بن إسحاق وبذلك خسر زيد أهم رجالاته، وهو بعد في أوائل ثورته.

٧- لم يترك يوسف بن عمر محاصرة الناس في المسجد حتى فرغ كلياً من الثورة، ثم أطلق سراحهم بعد ذلك.

هذه أهم الاجراءات، وأسباب فشل الثورة التي تتصل بالسلطة. والى جانب هذه العوامل وقع زيد في جملة أخطاء ساعدت يوسف بن عمر على القضاء على الثورة. وفيما يلي أهم الاسباب التي تعود الى زيد بن علي، وطريقته في الحركة وفي القتال:

اولاً:

لم يستطع تعبئة كل فئات المعارضة الموجودة في الكوفة ضد النظام، بل ان زيدا لم يستطع أن يحتفظ ببعض الشيعة الذين انضموا اليه، حيث تركوه قبل بداية الثورة.

والسبب في تركهم آياه يعود الى عاملين هما:

١- ايمانهم بإمامة محمد بن علي الباقر ومن بعد ولده جعفر بن محمد الصادق وكانوا يعرفون أن المعارضة المسلحة لايقوم بها إلا الامام الشرعي، أو اعتقدوا بأن الامام الصادق عليه السلام لا يوافق على مشاركة الشيعة في ثورة زيد، لذلك انسحبوا من صف زيد.

«وفارقوه ونكثوا بيعته وقالوا سبق الامام. وكانوا يزعمون أن أبا جعفر

محمد بن علي عليه السلام أخا زيد بن علي هو الامام، وكان قد هلك يومئذ، وكان ابنه جعفر بن محمد حياً، فقالوا: جعفر إمامنا اليوم بعد أبيه، وهو أحق بالامر بعد أبيه، ولانتبع زيد بن علي؛ فليس بإمام. فسامهم زيد الرافضة^(١).
 «فقال لهم زيد: وجهوا إلى أبي جعفر^(٢) رسولاً، فإن أمركم بالخروج معي فاخرجوا، فاعتلوا عليه ثم قالوا: لو أمرنا بالخروج معك ماخرجنا؛ لأننا نعلم أن ذلك تقية منه واستحياء منك. فقال: كفوا ايديكم عني^(٣)».

٢- المناقشة التي جرت بينه وبين أولئك الذين جاءوا إليه وقالوا له:
 «رحمك الله، ماقولك في أبي بكر وعمر؟ قال زيد: رحمهما الله وغفر لهما، ماسمعت أحداً من أهل بيتي يتبرا منهما، ولا يقول إلا خيراً.
 قالوا: فلم نطلب إذا بدم أهل هذا البيت إلا أن وثبا على سلطانكم فنزعاه من ايديكم؟! فقال لهم زيد: إن أشد ما أقول فيما ذكرتم أنا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وآله من الناس أجمعين، وأن القوم أستاثروا علينا ودفَعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرة، قد ولوا فعدلوا في الناس، وعملوا بالكتاب والسنة. قالوا: فلم يظلمك هؤلاء، إذا كان أولئك لم يظلموك، فلم تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين؟ فقال: أن هؤلاء ليسوا كأولئك إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم^(٤)».

(١) تاريخ الطبري / ج ٨ / ص ٢٧٢ .

(٢) لعل الاسم هنا (أبي جعفر) اشتباه، والصحيح (جعفر)؛ لأن ثورة زيد وبيعة الناس له حصلت بعد شهادة الامام الباقر عليه السلام .

(٣) انساب الاشراف / ج ٣ / ص ٢٤٠ .

(٤) تاريخ الطبري / ج ٨ / ص ٢٧٢ .

وعلى اثر هذه المناقشة انفض بعض انصاره . ورغم أن زيدا رفع شعار «الرضا من آل محمد» الذي ينطوي على مسار سياسي معين ، إلا أن بعض الشيعة طلب تفسيرات مفصلة لهذا الشعار ، فحصل الاختلاف بينهم وبين زيد .

ثانياً :

جعل زيد الكوفة مركزاً للثورة ، واكتفى من البصرة ، وواسط ، وغيرهما بمجرد البيعة ، أو إرسال الكتب ، ولم يكن له فيها افراد بالمستوى الذي يستطيع ان يتفاعل مع الظروف المتحركة ، وهذا ما أدى الى عدم تحرك تلك الولايات لنجدة زيد .

إن سعة قاعدة الثورة تؤمن تعويضاً عسكرياً ، وتموئياً مستمراً ، كما تقطع روافد امدادات العدو في الوقت ذاته ، وعلى هذا الاساس نجد التقدم الملحوظ لحركة ابن الزبير ، وحركة محمد بن عبد الله على قوات النظام الحاكم اذ كلا الحركتين كانتا قاب قوسين أو ادنى ، من الانتصار النهائي لولا بعض الاخطاء التي حصلت ، وكرست الوضع لصالح الجانب الاموي .

ثالثاً :

لم يستطع زيد المحافظة على سرية حركته رغم حرصه على ذلك ، فقد اخترقت عيون والي الكوفة جدار السرية ، وكشفت نوايا زيد ، وتم إيصال هذه المعلومات الى يوسف بن عمر^(١) .

(١) تاريخ الطبري / ج ٨ / ص ٢٧٢ .

رابعاً:

لم ينجح زيد في سحب شيعة الكوفة الى ميدان الثورة فطائفة تركته، وطائفة كبيرة حجزت في المسجد، ومن ثمَّ فإن عدد المشاركين في العمل العسكري لم يتجاوز الالف والخمس مئة جندي على اكثر الاحتمالات.

خامساً:

وهناك سبب مهم لفشل الثورة، وهو تردد زيد في فتح ابواب المسجد امام المحتجزين داخله، ولا نعرف ما هو سبب تردد زيد، إذ لم تتحدث لنا الروايات عن عزم زيد على فتح ابواب المسجد، وفك الطوق عن أهل الكوفة، بل نقلت الروايات أن زيدا بعد أن جاء الى المسجد، والتقى مع فئة من الحرس كُلفت بحماية الابواب، انسحب، ولم يقم بمحاولات أخرى في هذا المجال.

ولعل السبب في ذلك أن زيدا شعر أن أهل الكوفة نقضوا عهده كما فعلوا سابقاً بالحسين عليه السلام، حيث قال لنصر بن خزيمة:

«يانصر بن خزيمة، أتخاف أن يكونوا جعلوها حسينية؟ فقال له: جعلني الله فداءً لك، أما أنا فوالله لا ضربن معك بسيفي هذا حتى أموت»^(١). وكذلك قول زيد لأنس بن عمر: «ما أخلفكم! قد فعلتموها. الله حسيبكم»^(٢).

(١) تاريخ الطبري / ج ٨ / ص ٢٧٤.

(٢) المصدر نفسه / ص ٢٧٤.

أقول ربما خطر ذلك في ذهن زيد فلم يُصِرَّ عليّ كسسر الابواب، ومواجهة الحرس، بل اكتفي في إشعار أهل المسجد بثورته وخروجه، حيثُ أدخل أنصاره الاعلام من تحت الابواب: «وهم يقولون: يا أهل المسجد، اخرجوا. وجعل نصر بن خزيمة يناديهم ويقول: يا أهل الكوفة، اخرجوا من الذل إلى العز، اخرجوا إلى الدين والدنيا؛ فإنكم لستم في دين ولادنيا. فأشرف عليهم أهل الشام فجعلوا يرمونهم بالحجارة من فوق المسجد، وكان يومئذ جمع كبير بالكوفة ونواحيها»^(١).

وموقف زيد هذا أشبه بموقفه من أنس بن عمر، حين وقف زيد عليّ باب بيته ودعاه للوفاء بالبيعة، فلم يجب أنس بشيء فتركه زيد. إن استمرار الحصار عليّ أهل الكوفة فوتَّ عليّ زيد فرصة جمع أنصاره ومؤيديه، ومن ثم كان الفشل العسكري.

سادساً:

رغم توافر فرصة سريعة امام زيد لقتل يوسف بن عمر حينما كان يراقب زيدا، فإنه لم يفعل ذلك، وذلك حينما كان زيد يقاتل القوم فد «ظهر يوسف بن عمر عليّ التل ينظر اليه هو وأصحابه، وبين يديه حزام بن مرة المزني، وزمزم بن سليم الثعلبي، وهما عليّ الجففة، ومعه نحو مئتي رجل. والله لو أقبل عليّ يوسف لقتله»^(٢).

(١) تاريخ الطبري / ج ٨ / ص ٢٧٤ .

(٢) المصدر نفسه / ص ٢٧٤ ، اتساب الاشراف / ج ٣ / ص ٢٤٦ .

فلو كان زيد قد اغتتم هذه الفرصة، وقضى على يوسف بن عمر لكان من المحتمل ان تنتهي الحرب بسقوط الكوفة، بيد ان الامور لم تسر في هذا الاتجاه، وظل يوسف يدير الحركة حتى قضى على زيد (رض).

سابعاً:

اعتمد زيد على خطة عسكرية قائمة على اساس ضرب تجمعات أهل الشام، ولم تذكر الروايات أنه اقتحم سجناً أو حصناً، أو قصرأ، أو معسكراً. بل ان زيدا وزع قواته وزودهم بتعليمات لضرب تجمعات العدو. بل ان روايات الثورة تنقل لنا أن قوات زيد تحركت في الكوفة بدافع جمع القوات والأنصار، وبالضرورة كانت تصطدم مع قوات الشام. فمثلاً: «سمع نصر بن خزيمة النداء فأقبل اليه، فلقي عمر بن عبد الرحمن صاحب شرطة الحكم بن الصلت، في خيله من جهينة عند دار الزبير بن أبي حكيم، في الطريق الذي يخرج إلى مسجد بني عدي، فقال نصر بن خزيمة: يا منصور أمت، فلم يرد عليه شيئاً، فشد عليه نصر وأصحابه فقتل عمرو بن عبد الرحمن، وانهزم من كان معه»^(١).

اما في يوم الأربعاء فقد عبا زيد جنده، وتقدم باتجاه جبانة الصيادين حيث كان يجتمع فيها نحو (٥٠٠) جندي من أهل الشام، فهزمهم^(٢). وفي ضوء المعارك التي خاضها زيد وأنصاره، يمكن القول أن هدف زيد بن

(١) تاريخ الطبري / ج ٨ / ص ٢٧٣ .

(٢) انساب الاشراف / ج ٣ / ص ٢٤٦ .

علي (رض) كان يتركز على إبادة القوات الشامية، في الوقت الذي كان يجمع فيه قواته، وقد ظل يجمع هذه القوات على امتداد يوم الأربعاء ففي هذا اليوم «لم يزل تؤوب إليه العدة بعد العدة، ودعا نصر بن خزيمة قوماً من قيس فتأمّ مع زيد الف رجل»^(١).

إن هذه الخطة لا يمكن أن تنجح للأسباب التالية:

- ١- قلة عدد قوات زيد.
 - ٢- كثرة القوات الشامية.
 - ٣- امتلاك القوات الشامية للسلاح، ومواد التموين.
 - ٤- التموين المستمر بالرجال والسلاح للقوات الشامية، بعكس زيد الذي أخذ جنوده يتساقطون واحداً بعد الآخر دون تعويض.
 - ٥- كانت القوات الشامية معبأة عدة، وعددًا للقتال، في حين ان قوات زيد كانت متفرقة، وهي تقاتل في الوقت الذي كانت تتعباً فيه مما جعلها اقل شوكة من الشاميين.
- وفي ظروف كهذه لا يمكن ان تنجح عمليات الهجوم السريع، ولا بد من اختيار الضربات الموجعة كقتل يوسف بن عمر، أو فك الحصار حول المسجد، الذي لو حصل كان من المحتمل ان يلتحق بعض المحصورين بالثورة، ومن ثمّ قد ترجع كفة زيد.

(١) انساب الاشراف / ج ٣ / ص ٢٤٩.

ثامناً:

لا بد هنا من ان نتناول موقف أهل الكوفة من زيد ذلك الموقف الذي يمثل اهمية خاصة في عملية الثورة التي خاضها زيد . كما لا بد ان ندرس موقف الكوفة السياسي في حكم الامام علي عليه السلام ، وموقفها من صلح الامام الحسن عليه السلام وثورة الامام الحسين عليه السلام وذلك لاستيعاب الموقف العام للكوفة من أطروحة الامامية .

يظهر من بعض كلمات البيت العلوي والبيت العباسي ، إن أهل الكوفة لا يستطيعون الوفاء بمسؤوليات البيعة وذلك بعد تجربة الامام الحسين عليه السلام معهم . من هنا حين سمع عبد الله بن الحسن (بن الحسن بن علي بن ابي طالب) عن عزم زيد على الاعتماد على أهل الكوفة في ثورته كتب اليه : «يا ابن عم إن أهل الكوفة قوم نفج العلانية خور السريرة هرج عند الرخاء ، جزع عند اللقاء ، تقدمهم ألسنتهم ، لا يشايعهم قلوبهم لا يثبتون بفناء فيرجون ، ولا يثبتون على عداوة فيخافون ، ولقد تواترت الي كتبهم فصممت عند ندائهم ، وألبست قلبي غطاءً عن ذكرهم ياساً منهم وأطراحاً لهم ، وإنما هم كما قال علي رحمه الله تعالى : إن أهملتكم خضتم ، وإن حوربتكم خرتم ، وإن اجتمع الناس على امام طعتكم ، وإن دعيتم الي مشاقاة أجبتكم»^(١) .

وبعد مجيء زيد الي الكوفة في قضية دعوة خالد بن عبد الله القسري ،

(١) انساب الاشراف / ج ٣ / ص ٢٤٠ .

وانتهاء هذه القضية عاد زيد إلى المدينة مع داود بن علي العباسي، فلحق أهل الكوفة بزيد وقالوا له: «ارجع معنا وادع إلى الحق، فإننا نرجو أن يكون الداعي إلى الحق هو المنصور، وأن يكون هذا الزمان زمان هلاك بني أمية. فقال له داود حين أراد المضي إلى الكوفة وقد اطلع على أمره: يا أبا الحسين، إن أهل الكوفة أصحاب علي وأصحاب الحسين فاحذرهم، فلم يقبل منه زيد ورجع إلى الكوفة مستتراً، فقال له محمد بن عمر بن علي: قد صدقتك ابن عمك فلا تخرج، فلما أبى مضي إلى المدينة وتركه»^(١).

أما سلمة بن كهيل، وكان من الفقهاء، فقد قال لزيد: «إن أباك كان خيراً منك، وقد كان بايعه أكثر ممن بايعك، وكان أولئك خيراً من هؤلاء فامض لوجهك (أي اذهب إلى المدينة ولا ترجع إلى الكوفة)»^(٢).

أما سليمان الاعمش فقد نقلوا له رسالة شفهية جوابية على رسالة بعثها زيد إليه يدعوه فيها للمشاركة في أمره حيث قال في جوابه لزيد: «أني لا أثق لك بالقوم، ولو وثقت لك بثلاث مئة رجل منهم لغيرنا لك جوانبها»^(٣).

وقد أشار الامام الباقر عليه السلام لزيد بأن أهل الكوفة سينكثون عهده وذلك حين استشاره زيد ونصحه بأن لا يركن إلى أهل الكوفة^(٤).

ان هذه النصائح وما تقدم من روايات في مدح الكوفة وأهلها وانها

(١) انساب الاشراف / ج ٣ / ص ٢٣٦.

(٢) المصدر نفسه / ص ٢٢٤.

(٣) المصدر نفسه / ص ٢٣٩.

(٤) مروج الذهب / ج ٣ / ص ٢٠٦.

حصن أهل البيت المنيع تكشف أن الكوفة أتصفت بطابعين هما:

١- طابع الولاء لأهل البيت عليهم السلام وعزز ذلك اختيار الامام أمير المؤمنين الكوفة مقراً لحكومته والحروب التي خاضها الكوفيون إلى جانب أمير المؤمنين ضد البغاة وقد استمرت هذه الحروب خمس سنوات ورغم بعض حالات الانفصال بين الولاء العقيدي، وبين الالتزام العملي للكوفة، إلا أنها ظلت حصن شيعة أهل البيت، ومحبيهم حسب ما وصفهم محمد بن علي بن عبد الله بن عباس في رسالة له إلى دعائه، وقد تقدم تفصيل ذلك في الأبحاث السابقة وشرحنا الموقع الثوري المتميز الذي احتلته الكوفة على امتداد العصر الأموي.

٢- طابع الانسحاب عن القيادة الشرعية في ظروف خاصة كما حصل في إمامة الحسن عليه السلام وبلغت ذروة المأساة في قضية الحسين عليه السلام.

وإذ تبين لنا هذان الخطان في الكوفة، عرفنا السر في إقدام زيد على الكوفة، وقبوله دعوتهم إياه للثورة، والذي يظهر أن زيداً كان يظن أن ظاهرة تراجع الكوفة كان لها ظروفها، ورجالها فلا يمكن أن تتكرر، والذي يشير إلى وجود هذه الفكرة هي كلمات لزيد في هذا المجال، كما يشير إليها سؤاله لنصر بن خزيمة بعد أن شاهد قلة الخارجين معه: «يانصر بن خزيمة، اتخاف ان يكونوا قد جلعوها حسينية؟»^(١).

لقد كان زيد يعتقد أن الخطأ الذي وقعت فيه الكوفة لا يمكن أن يتكرر مرة أخرى وغاب عنه أنه لو تجددت ذات الظروف التي برزت في تلك الحالات لمارست الكوفة ذات الموقف، وتلونت بالطابع الثاني.

(١) تاريخ الطبري / ج ٨ / ص ٢٧٤.

وهذا ما حصل فإن يوسف بن عمر مارسَ سياسةً شبيهةً بسياسة عبيد الله بن زياد في مواجهة ثورة الحسين عليه السلام، بفارق أنه سجن أهل الكوفة في المسجد، واعتمد في مواجهة زيد عليّ قوات شامية.

والذي يظهر أيضاً أن زياداً تصور أن الكوفة أخذت درساً من خلال تجربتها في مواقفها من أهل البيت، وأن ستين عاماً من السنين القاسية عليّ أهل الكوفة، كانت كافية في تصحيح الرؤية وتشديد العزيمة.

ولكن النتيجة جاءت عليّ غير ما حسب لها زيد بن علي (رض) فقد جاء موقف الكوفة امتداداً لتلك المواقف الاستثنائية والسلبية.

وفي الواقع لا يمكن تفسير تلك الحالات الشاذة بأنها تراجع ونكران لزيد، وحق أهل البيت في القيادة، وذلك لأن ديوان زيد أحصى (١٥) ألفاً من الذين بايعوه. إنما سبب ذلك هو غلبة الخوف عليّ أهل الكوفة وحب الدنيا، وعدم المبادرة اليّ اتخاذ الفعل المناسب في الاوقات الحرجة. ولكن مع ذلك يجب القول أن الذي باشر قتال زيد هم أهل الشام الموجودون في الكوفة إذ أن غالبية القوات المقاتلة كانوا من الشاميين القاطنين في الكوفة، وطائفة من الناس من غير الشيعة، ومن الذين بعثهم هشام بعد أن أخبروه بمبايعة الكوفة لزيد. أما أهل الكوفة أو الكثير منهم الذين بايعوا زياداً فقد سجنهم يوسف بن عمر في المسجد، ولانعلم لو لم يقم يوسف بن عمر بحجز جماهير الكوفة في المسجد أكانت الامور ستجري كما وقعت أم سوف تبرز حالة أخرى في وسط المجتمع الكوفي؟.

نحن لانشك في سقوط الكوفة في أخطاء ولكن ينبغي ان نشير اليّ اهم

الاسباب التي يمكن اعتبارها سبباً لتلك الاخطاء وهي :

اولاً: قلة الشخصيات المؤثرة في وسط الجماهير .

ونقصد بالشخصيات الافراد الذين يتمتعون بنفوذ، ومقام في وسط قومهم . صحيح أنه توجد شخصيات حيوية، وفاعلة في مستوى ايمانها، وصدق عزيمتها الا ان عددها قليل، مضافاً الى ان العدو استطاع ان يقضي على الكثير من الشخصيات المؤثرة، وبقيت القيادة تعتمد على القلة من هؤلاء، فمثلاً استطاع معاوية ان يتخلص من عمار بن ياسر، ومن مالك بن الاشر، ومن محمد بن أبي بكر في عهد الامام علي عليه السلام، ومن حجر بن عدي ومن خيرة الرجالات، والقادات الثورية بعد توليه السلطة .

إن هذه المفاصل تؤدي دوراً كبيراً في ذلك الوسط الذي لم تتعمق فيه بعد الرؤية القيادية الكاملة، حيث تشد الجماهير الى القيادة، والى اجراءاتها الثورية . مثلاً لاحظنا كيف ان سليمان بن صرد ابدى الاستعداد الكامل لتحريك الجماهير ضد معاوية بن ابي سفيان .

وفي حوار بين الامام علي عليه السلام وبين مجموعة من جيشه :

«تكلم الناس من كل ناحية، ولغطوا، وقام رجل منهم فقال باعلى صوته : استبان فقد الاشر على اهل العراق، أشهد لو كان حياً لقل اللغظ، ولعلم كل امرئ ما يقول . فقال علي عليه السلام : هبلكم الهوابل أنا اوجب عليكم حقاً من الاشر، وهل للاشر عليكم من الحق الا حق المسلم على المسلم»^(١) .

هذا الحوار يكشف عن موقع هؤلاء الاشخاص عند اهل العراق في بيان

(١) شرح نهج البلاغة / ج ٢ / ص ٩٠ .

موقع القيادة، من خلال دفع الجماهير للتمسك بها، والانصياع لتعاليمها.

ثانياً: وجود المحاور العميلة في صفوف الكوفة

فان هذه المحاور راحت تعمل على تشييط العزائم، وعلى إفشال مواقف الامام، ومن ثم إثارة موجة من التشكيك في سلامة مواقف القيادة.

ثالثاً: انخفاض المستوى الفكري لدى عامة الجماهير الموالية للامام ﷺ.

والبساطة في التعامل مع شخص الامام القائد، بحيث استطاعت فتنة رفع القرآن أن تنفض عزمهم وتكره الامام علي على إجابة معاوية الى تلك الخدعة!!.

رابعاً: الجهل، والسطحية اللذان أوجدا فتنة الخوارج حيث انفصل فئة من قوات الامام وراح يتهم الامام في موقفه في مسألة التحكيم وذلك نتيجة الجهل في النظر الى الاحداث.

اقول: هذا الجهل شكل عاملاً كبيراً من عوامل ضعف ارتباط الجماهير بالقيادة الشرعية.

إن هذه العوامل: «الجهل، قلة المفاصل الحيوية الموالية للامام، وجود العناصر العميلة في صفوف الامام» تشكل الجذور الخلفية لجميع تلك المواقف السلبية خصوصاً اذا عرفنا حجم شراسة العدو، واستعداداه لعمل كل شيء من أجل استلام الحكم، وإسقاط حكومة الإمام.

الفصل السادس

تقييم الثورة

حسين نقيّم آية ثورة، لا بد ان يكون ذلك في ضوء اهداف الثورة،
 وحجم المكاسب التي أنجزتها. وليس على مقياس الوصول أو عدم الوصول
 للسلطة .

وفي الواقع أن ثورة زيد تختلف اختلافاً جذرياً عن الثورات التي
 حصلت في التاريخ الاسلامي، في عهد الامامة الشرعية وذلك لأن
 معارضة الطاغوت في ظل شروط معينة عند أهل البيت وظيفة شرعية،
 وليست عملية سياسية، تستهدف الوصول للسلطة فحسب. وتلك
 الوظيفة هي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. وحين تكون المعارضة وظيفة
 شرعية لا يحزن الثائر اذا لم ينجح في الوصول الى السلطة، لانها ليست هدفاً
 بحد ذاتها، وإنما الهدف هو الامر بالمعروف، وبسط العدل، وتطبيق احكام
 الله .

وصاحب القيم الذي يثور من أجلها إنما يؤدي تكليفه الشرعي، سواء
 حصل الانتصار أم لا . مع ملاحظة ان وظيفته تختلف باختلاف الاحوال
 والظروف .

وإذا كانت الثورة تعبيراً عن التزام شرعي في إطار رؤية رسالية فإن الحكم بنجاحها ينبغي ان يأخذ حثياته من مقدار الوفاء بذلك الالتزام . من هنا نرى ان محاولات بعض تقييم ثورة الامام الحسين عليه السلام ، أو ثورة زيد بن علي من خلال نتائج الثورة على المستوى السياسي ، نراها ناشئة من عدم إدراك منطلقات الثورة، واهدافها . اذ حين يكون هدف الثورة هو القيام بالوظيفة الشرعية ، ينبغي ان تقيم الثورة من خلال قيمها ، وحجم تجسيد تلك القيم في السلوك الثوري . وعلى هذا الاساس يمكن ان نحكم بنجاح ثورة زيد رغم فشله العسكري ، وذلك لانه خرج بدوافع رسالية ، واحتفظ بالمضمون الرسالي لثورته حتى شهادته ، وفيما يلي بيان ذلك :

أ-اهداف الثورة :

لقد درسنا اهداف ثورة زيد ، وقلنا : انها تتمثل في الرغبة في نصره الرسالة ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومن الواضح أن ثورة زيد حققت هذا الهدف ، حيث ان خروجه بالذات هو نوع من محاربة السلطان الظالم ، وهي وظيفة شرعية على وفق مقاييس الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ففي بداية الثورة حين وقف زيد تحت رايات جنده وهي تخفق قال : «الحمد لله الذي أكمل ديني . والله اني كنت استحي من رسول الله صلى الله عليه وآله ، ان ارد عليه الحوض ولم أمر بالمعروف»^(١) .

وقبل الثورة يكشف عن حجم ابتعاد الامة عن الاسلام بقوله : «يامعشر

(١) ثورة زيد / ص ١١٨ .

قريش، هذا الدين قد ذهب، أفذهبت الاحساب؟!»^(١).

وإذا كانت أهداف الثورة هي النهي عن المنكر، والامر بالمعروف، فإن نجاحها يتقوم بحجم الالتزام بهذه الوظيفة. والوصول إلى السلطة عند زيد لا يمثل الهدف الاساسي من ثورته.

ب- ومن خلال متابعة زيد في منحنيات الثورة، نجد تمسك بقيم الشريعة، وأحكام الرسالة، ولم يتخلَّ عن تلك الاحكام رغم ضغط الظروف عليه. فهو رفض مشاركة النساء له في الثورة، حين عرض ذلك على زيد، وتلا عليهن آية ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾^(٢). وذلك لان الثورة خروج بالسلاح ومواجهة العدو في الميدان وهذا اللون من الجهاد لا يناسب المرأة ولم يقبل مشاركة أحد من المماليك في الثورة، إلا بإذن سيده، وأرجع بعضاً منهم^(٣).

ومن هذه السلوكيات والمواقف، يتضح ان زيدا تمسك بالقيم الاسلامية في ممارسة الثورة. وهذا بحد ذاته يشكل آية على نجاح الحركة. وفي هذا الضوء نحكم على ثورة زيد بالنجاح، لانها انطلقت بدافع الالتزام بالوظيفة الشرعية، وحافظت على الالتزامات الشرعية في مسارها العسكري، والسياسي.

ومع كل هذا فإن عطاء الثورة بحد ذاته، يكشف عن حجم تأثير الثورة في الحياة السياسية للامة، من هنا ينبغي ان ندرس عطاء الثورة في حياة

(١) الطبري / ج ٨ / ص ٢٦٣.

(٢) انساب الاشراف / ج ٣ / ص ٢٤٨.

(٣) المصدر نفسه / ص ٢٥٠.

الامة، لكي نرسم الصورة الكاملة لاهمية ثورة زيد في التاريخ السياسي للامة .
ويمكن دراسة تلك العطاءات ضمن الفقرات التالية :
اولاً: تعميق صلة الامة بأهل البيت .
ثانياً: القاء الضوء على طبيعة الحكم الاموي المنحرف .
ثالثاً: اذكاء روح الثورة في الامة .
ولنتناول هذه العطاءات بموجز من الحديث :

أولاً: تعميق صلة الامة بأهل البيت :

إن معرفة القيادة الشرعية المتمثلة بائمة أهل البيت ﷺ، قضية في غاية الاهمية، لان معرفة أهل البيت، باعتبارهم القيادة الشرعية، مقدمة ضرورية لتعميق الولاء العقيدي والسياسي للامام . اذ بدون معرفة أهل البيت، بوصفهم أصحاب الحق الشرعي، لا يستطيع الامام ان يمارس دوره على مستوى عام . صحيح أن الامام مارس دوره السياسي والتوجيهي في جميع الظروف، بيد أن من الضروري بيان حقانية أهل البيت، وتوسيع دائرة فعل الامام، ونفوذه في حالة عدم استلام السلطة، ومن أجل توسيع دائرة التطبيق الاسلامي، ونشر القيم الاسلامية في وسط الامة .

إن معرفة الامة بالامام تساهم في منع السلطات الظالمة من تصفية الامام جسدياً . فلو كانت معرفة الامة بالامام معرفة شاملة لغالبية افراد الامة، ومعرفة عميقة في اطار وصفهم الشرعي، لكان من الممكن ان لاتصير الامور الى ماوصلت اليه في حكومة ايام ابي جعفر العباسي، حيث ظل الامام

الصادق عليه السلام يمارس التقية في حقل الساحة السياسية . وظل الامام الكاظم في غياهب السجون في ايام الرشيد العباسي زهاء اربعة عشر سنة .

إن معرفة الامام ليست فقط ضرورية لممارسة الامام دروه السياسي علي مستوى استلام السلطة، أو علي مستوى مواجهة السلطة الظالمة، بل ضرورية من أجل ربط الأمة بالامام حتى في حالات عدم تصدي الامام لمواجهة السلطة الظالمة، أو لممارسة السلطة لسبب من الاسباب . ولذلك لان السلطة ليست هي القناة الوحيدة لمعرفة الاسلام، وتطبيق احكامه، وخاصة في تلك الفترة التاريخية . حيثُ تناح فرص عديدة لممارسة الامام مسؤوليته الشرعية، في قيادة الأمة بشكل من الاشكال . أن هذا الدور يتسع بحجم معرفة الأمة بامامها، ومدى طاعتها له .

ولاهمية معرفة الامام في الحقل السياسي، وفي حقل الالتزام بشريعة الله، نلاحظ تركيز الاعلام الاموي علي تشويه مقام ائمة أهل البيت، والحرص علي النيل منهم امام الناس . صحيح أن الأمة تعرف مقام أهل البيت، ولكن الاعلام المركز لن يخلو من تأثير وتشويه للحقائق . بل ان الاعلام الاموي استطاع ان يخلق اُطراً ثقافية، وسياسية معادية لخط أهل البيت . من هنا تأتي أهمية معرفة الامام باعتبارها مقدمة للالتزام بأوامره، ولتأمين فرص ممارسة دوره السياسي في جميع الظروف . وكذلك تأتي أهمية ثورة زيد بن علي، الذي هو من أعمدة أهل البيت، ويمثل ثقلاً سياسياً، واجتماعياً في الأمة .

وشخصية علي هذا المستوى، حين تخرج، تطالب الناس بالبيعة علي

اساس الرضا من آل محمد، وتنتهي بفاجعة عظيمة في الأمة، سوف تفتح عيون الأمة، وقلوبها، وعقولها على اهل البيت، ومن ثم معرفة اهل البيت باعتبارهم القيادة الشرعية، وحجج الله في الارض.

ثانياً: القاء الضوء على حقيقة البيت الاموي

ومعرفة حقيقة الفئات الحاكمة هو الآخر يشكل ضرورة حيوية على المستوى السياسي، اذ مادامت الامة لاتعرف حقيقة البيت الاموي، فانها سوف تعتبر الحكام الامويين خلفاء الرسول ﷺ، كما يُطرح الحاكم بهذا العنوان، ومن ثم سوف تضيع الحقيقة في وسط هذا الخداع الاعلامي الشامل. وفي الواقع أن معرفة الحكام بوصفهم فئة غاصبة للحكم، يشكل الجناح الآخر لإستكمال الوعي السياسي للامة. بيد أن معرفة الحكام الامويين، واختراق الحاجز الاعلامي، ليس بالامور السهلة اذا كانت الامور تسيير بشكل رتيب، وعادي. اما لو حصلت هزة في الوسط السياسي، فإن التعامل معها من قبل الحكام الامويين كفيل ببيان حقيقة اتجاهاتهم. وهذا ما صنعته ثورة الامام الحسين ﷺ من قبل وهو ما صنعته ثورة زيد، مع الاحتفاظ بالفارق بين حجم كشف وتأثير كلا الثورتين، في الحياة السياسية للامة.

من هنا نعرف أن ثورة زيد شكلت امتداداً ثورياً لخط الامام الحسين، في تعرية حقيقة الحاكمين، وكشف طبيعة سلوكهم السياسي. بالاضافة الى السلوك الفردي المناقض للشريعة. إذ إن عالماً من علماء آل محمد، حين يفجر الثورة المسلحة ضد السلطان، سوف ينبه الامة على حقيقة السلوكيات

الشاذة للحكام الامويين ، بالصورة التي دفعت الي شهر السلاح ضدهم .

ثالثاً : اذكاء روح الثورة في الأمة

عرفنا في النقطتين السابقتين ، أن ثورة زيد أشعرت الامة بموقع أهل البيت على المستوى العملي ، وانهم القادة الشرعيون للامة الذين يتألمون لهم ، ويسعون لاسعادهم . وكذلك كشفت لها حقيقة الحكام الامويين . وهنا يأتي العطاء الآخر للثورة الذي شكلت النقطتان السابقتان ارضيته ، وهو اذكاء روح الثورة في الامة ، ووضعها في خط المواجهة مع الطاغوت . إذ إن اكتشاف الامة للامام الشرعي من جهة ، ومعرفتهم حقيقة الحكام الامويين من جهة أخرى ، سوف يدفع الأمة الى ممارسة خط النقد ، والمعارضة ، وعدم الركون الى الدعة والاستقرار ، تحت ستار عدم معرفة الامام ، او تحت ستار الصلاح الظاهر للحاكم الامويين ، أو عدم مواجهة الامام الباقر عليه السلام او الصادق عليه السلام للفساد الاموي . وهم اصحاب الحق الشرعي ، فكيف يتحرك غيرهم ؟ .

هذه التبريرات سقطت بحركة أهل البيت . فبالأمس القريب حطم صوت الامام الحسين عليه السلام طوق الارهاب والخضوع حيث ضرب المثل الاعلى في مواجهة السلطان الظالم ورفض الخضوع له . وها هو حفيده زيد يقوم بهذا الدور ، بعد مشاوره الامام الصادق عليه السلام ، والواقع ان ثورة زيد ، ودورها في اذكاء روح الرفض جاءت في موقعها المناسب ، وذلك لان لهيب الثورة ، والرفض المقدس ، الذي أوقده سيد الشهداء الحسين بن علي في عام

(٦١هـ) كاد الحكام الامويون ان يطوقوا امتداده، ويوقفوا تأثيره. ومع مرور الاعوام الطويلة من عام (٦١هـ) الى عام (١٢٠هـ) مال الناس الى الدعة، والقبول بالامر الواقع. فجاءت ثورة زيد للتذكير بالقيم التي استشهد من اجلها الامام الحسين عليه السلام، وللتذكير بضرورة القيام بالوظيفة الشرعية، حين تصل الامور الى الحدود المناقضة للاصول الاسلامية، التي وصلت اليه في عهد الحكام الامويين.

فتواصلت ثورة زيد مع ثورة الامام الحسين، وعمقت مفهوم معارضة السلطان الظالم، والتصدي للانحرافات العقائدية، والسياسية التي تنبع من وجود الحكام الامويين على رأس السلطة. ومن ثم عمقت مفهوم الشهادة في وجدان الأمة، وأزاحت عنها ذلك الغبار الغليظ من الانحراف، والتشويه الذي انتشر على يدي السلطات الظلمة، ومريديهم من وعاظ السلاطين، والكسبة من اهل الحديث والعلم.

ومن هنا نعرف السر في امتلاء التاريخ السياسي للاسلام بالشورات المضادة التي قادها المقربون من أهل البيت بعد شهادة زيد.

اذ لم تهدأ الساحة السياسية بعد شهادة زيد، ولم تخمد حرارة الثورة حتى أطاحت بالحكم الاموي بعد اثنتي عشرة سنة من شهادة زيد، بفعل الثورات المتتالية ضد التسلط الاموي.

هذه عطاءات ثورة زيد. وهي كفيلة بإقناع الباحث بأهمية هذه الثورة في حياة الأمة، ودورها المؤثر في الاوضاع السياسية بشكل عام.

الفصل السابع

الثوره عند اهل البيت عليهم السلام

القسم الاول

نظرية قيادة الامام عليه السلام

في هذا الفصل نتناول موقف الامام الصادق عليه السلام من ثورة زيد، وموقف زيد من الامام عليه السلام ونبين العلاقة الوثيقة بينهما. وهذا هو محتوى القسم الثاني الذي يقع في بايين.

اما القسم الآخر من البحث، فهو يتناول فكرة الامامة، ووظيفة الامام في تولي السلطة، وفي قيادة المجتمع، وبعض الافكار الأخرى المرتبطة بمنصب الامامة، وهذا هو القسم الاول الذي يقع هو الآخر في بايين هما:

الباب الاول:

تولي السلطة : وظيفة شرعية

الذي يدرس المواقف السياسية لائمة أهل البيت عليهم السلام بدءاً من مواقف أمير المؤمنين، ومروراً بمواقف سائر الائمة، يرى ان الامام لا يحرص على تولي السلطة في جميع الظروف، والتقارير. فالامام تارة يصمت، وأخرى يرفض البيعة الخاصة، ويطالب بالبيعة العامة، كما فعل امير المؤمنين، وثالثة تأتية السلطة ولكنه يرفضها ويقبل ولاية العهد.

إن السلطة عند أهل البيت مسؤولية شرعية لقيادة المجتمع الاسلامي، وتنفيذ حاكمية الله وتحقيق العدل الاجتماعي فهي تنطوي على المسؤولية ولا يرى الامام الجوانب المغرية من السلطة كالجاه، والمال والنفوذ بل ان التعلق بهذه الامور مناف مع منصب الامامة.

«فمن امير المؤمنين عليه السلام قال : إن الله جعلني اماماً خلقه، ففرض عليّ التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي، كضعفاء الناس كي بقتدي

الفقير بفقري ولا يُطغي الغنيَّ غناه»^(١).

«وعن المعلی بن خنيس، قال: قلت: لابي عبد الله عليه السلام يوماً: جُعِلْتُ فداك، ذكرت آل فلان وما هم فيه من النعيم، فقلت: لو كان هذا اليكم لعشنا معكم. فقال: هيهات يامعلی، أما والله أن لو كان ذاك ما كان الا سياسة الليل وسياحة النهار، ولبس الخشن، وأكل الجشب فزوي ذلك عنا. فهل رأيت ظلامه قط صيرها الله تعالى نعمة الا هذه؟»^(٢). وإذا كانت السلطة مسؤولية شرعية فرضها الله على الامام، لتوجيه الناس الى طاعة الله، فإن الامة مكلفة أيضاً بالرجوع الى الامام الشرعي، وعدم السماح لتجار السياسة بتولي الامور، وإبعاد الامام عن مقامه الشرعي.

ومن هنا يتضح إن الامام لا يلهث وراء السلطة ولا يسعى لاستلامها بأي ثمن، وإنما يتوخى دائماً وسائل مبدئية لتولي الامور، وتحقيق الاهداف الرسالية صحيح ان الامام يهمل رعاية الامة وهدايتها، ولكن ليست ثمة ملازمة بين ذلك وبين استلام السلطة بأية وسيلة وبأي ثمن^(٣).

ومن هذا المنطلق نفهم السر في صلح الامام الحسن عليه السلام مع معاوية، ورفض الامام الصادق عليه السلام دعوة ابي مسلم الخراساني، ومن بعده دعوة

(١) الكافي / ج ١ / ص ٤١٠.

(٢) الكافي / ج ١ / ص ٤١٠.

(٣) لكن لا يخفى ان السلطة تتيح للامام والامة اقامة الاسلام عملياً بشموله. ولكن لو لم يظفر الامام بالسلطة، فلا بد من القيام بما يمكن القيام به لحماية الشريعة، وحفظها وبيان معالمها، وتطبيق ما يمكن تطبيقه منها. وهذه المسؤوليات ايضاً من مسؤوليات الامام.

أبي سَكَمَةَ الخلال لتولي الامر، ورفض الامام الرضا عليه السلام ولاية العهد، الى أن اكره على القبول .

فالامام الحسن عليه السلام ادرك انخفاض الوعي الاسلامي في صفوف مؤيديه، بل وانشقاق بعض عليه، ومبايعة معاوية سرأ، وانسحاب الكثير من معسكره الى خط معاوية، ولم يبق في صفه العدد الكافي لمواجهة معاوية، فأثر الصلح لحفظ المكاسب الاسلامية أمام موجة معاوية الجاهلية .
والامام الصادق عليه السلام، رأى أن القاعدة التي يريد الخراساني أو الخلال توظيفها لحساب الامام الصادق، لم تستوعب قيم الامامة ومفاهيم الرسالة من خلال مدرسة أهل البيت، فلا يمكن الاعتماد عليها في الاطاحة بالطاغوت، وإقامة حكم الله إذ قد تترك الامام وحيداً أثناء المواجهة مع الطاغوت، الامر الذي يؤدي الى نكبة اخرى للامة، اضافة الى نكبتها في سيطرة الطاغوت^(١) . أو قد يهدف ذلك الطلب الى الاستفادة من الامام مؤقتاً، ريثما يظفر طلاب الحكم بالسلطة، وبعد ذلك يعملون على التخلص من الامام . كما فعلوا ذلك مع بعض انصارهم .

صحيح ان للامام حقاً شرعياً في قيادة الامة، ولكن تنفيذ ذلك الحق عملياً بحاجة الى قاعدة شعبية توفر للامام الفرصة العملية في قيادة المجتمع .
اذ بدون قاعدة شعبية سوف تكون السلطة عملياً في قبضة الغاصبين لمنصب الامامة، ، لكن حيث ان حق الامام في السلطة ناشئ من النص، فإن حدود

(١) راجع: الشهيد الصدر، أهل البيت تنوع ادوار ووحدة هدف، ص ١٥ وما بعدها.

القاعدة الشعبية ليس بالضرورة يجب ان يسع كل الامة، أو غالبيتها بل يكفي حصول العدد اللازم لتمكين الامام من تولي مسؤولياته القيادية في جميع الظروف المتباينة.

وفي ضوء هذا التحليل نخلص الى الافكار التالية :

- ١- إن السلطة بحد ذاتها، اذا لم تهدف الى نشر معالم الدين، فهي من الدنيا، ومن ثم فهي مرفوضة من قبل الامام المسؤول عن بيان الدين، وهداية الناس، وتطبيق حكم الله.
- ٢- بما إن السلطة وسيلة لتطبيق احكام الله، فلا بد ان تبرهن الامة على اخلاصها في ولاية الامام، والاعراض عن الظلمة في جميع الاحوال^(١).
أما الامام فهو يشخص الوقت المناسب لرفع السلاح ضد ولاة الجور.
- ٣- ان ممارسة الولاية تتيح القوة اللازمة لتنفيذ الحكم الالهي، وتتيح دائرة أوسع لتطبيق الشريعة، وفرصاً أفضل لتحقيق العدل الاجتماعي، وهداية الناس.

(١) راجع كتاب: (تلخيص الشافي) للشيخ الطوسي / ج ١ / ص ٩٧ . فالامام اذا امر الامة بالسكون، فلا بد ان تسكن، واذا أمرها بالحركة، فلا بد ان تتحرك لان نظر الامام حجة على الامة، اذ قد يرى المصلحة في السكون، كما قد يرى المصلحة في الحركة.

الباب الثاني :

الامامة وظيفه الامام في المجتمع الاسلامي

إن الامامة عند أهل البيت ليست مقاماً سياسياً فحسب، بل هي أيضاً منصب رباني، واختيار الهي لشخص الامام، فتولي السلطة لا يسبغ على صاحبها صفة الامامة اذا كان فاقداً لشروطها.

فلا بد من بيان بعض خصوصيات الامام، وأسلوب معرفته، ضمن النقاط التالية :

اولاً: صفات الامام

للامام صفات خاصة به لا يشاركة فيها غيره، وذلك لانه مسؤول عن هداية الامة، وتربيتها على القيم، والمفاهيم القرآنية، فمن كلام للامام الباقر عليه السلام قال: «كلنا نهدي الى الله»^(١). وقال وهو يشير الى مجموعة من المتصدين للفتوى: «هؤلاء الصادون عن دين الله بلا هدى من الله، ولا كتاب مبين. إن هؤلاء الاخابث لو جلسوا في بيوتهم، فجال الناس فلم يجدوا أحداً يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى يأتونا فنخبرهم عن الله وعن رسول صلى الله عليه وآله»^(٢). وعن ابي عبد الله عليه السلام في تفسيره لآية

(١) الكافي / ج ١ / ص ٥٣٦ .

(٢) المصدر السابق / ج ١ / ص ٣٩٣ .

﴿ولكل قوم هاد﴾ قال: «كل إمام هادٍ للقرن الذي هو فيهم»^(١). والامام أمين الله في الارض، وخازن علمه وحجته على عباده بعد رسول الله ﷺ، فعن ابي عبد الله: «قال: نحن ولادة أمر الله، وخزنة علم الله، وعيبة وحي الله»^(٢). وعن ابي جعفر ﷺ قال: «والله إنا لخزآن الله في سمائه وأرضه، لاعلى ذهب ولا على فضة إلا على علمه»^(٣). وعنه أيضاً: «نحن خزان علم الله، ونحن تراجمة وحي الله، ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الارض»^(٤).

والائمة خلفاء الله في أرضه، وأبوابه الى شريعته، وهم معدن التنزيل، ومهبط الملائكة، وهم الحكام على العباد. هذه بعض صفات الامام من أهل بيت العصمة، فالامام يجسد صفات النبي، ويقوم بوظيفة النبي. لكنه يفترق عنه بأن النبي يأتيه الوحي، والامام يلهم الهاماً، أو يحدث حديثاً ولايوحي اليه^(٥).

واجد من الضروري ان أنقل حديثاً مهماً للامام الرضا ﷺ، يضيء جوانب شخصية الامام ومقامه الرسالي:

«عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنا مع الرضا ﷺ بمرو، فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا، فأداروا أمر الامامة، وذكروا كثرة

(١) الكافي / ج ١ / ص ١٩١.

(٢) الكافي / ج ١ / ص ١٩٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) للمزيد من البيان يراجع شرح الباب الحادي عشر للعلامة الحلي / ص ٦٨.

اختلاف الناس فيها. فدخلت على سيدي ﷺ فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسم ثم قال: يا عبد العزيز، جهل القوم وخدعوا عن آرائهم. (الى ان قال ﷺ): إن الامامة هي منزلة الانبياء، وإرث الاوصياء. إن الامامة خلافة الله، وخلافة الرسول ﷺ، ومقام أمير المؤمنين ﷺ، وميراث الحسن والحسين ﷺ. إن الامامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعز المؤمنين. إن الامامة أس الاسلام النامي، وفرعه السامي. بالامام تمام الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وتوفير الفئى والصدقات، وإمضاء الحدود والاحكام، ومنع الثغور والاطراف. الامام يحل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله ويدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجة البالغة. الامام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم، وهي في الافق بحيث لاتنالها الايدي والابصار. الامام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى، وأجواز البلدان^(١)، والقفار، ولجج البحار. الامام الماء العذب على الظماء، الدال على الهدى، والمنجي من الردى. الامام النار على اليفاع^(٢)، والحار لمن اصطلى به، والدليل في المهلك، من فارقه فهالك. الامام السحاب الماطر، والغيث الهاطل، والشمس المظيئة، والسماء الظليلة، والارض البسيطة، والعين الشفيق والاخ الشقيق، والام البرة بالولد الصغير، ومفزع العباد في الداهية النآد^(٣). الامام أمين الله في خلقه،

(١) جواز جمع الجوز وهو من كل شيء وسطه.

(٢) اليفاع: ما ارتفع من الارض.

(٣) الداهية النآد: المحنة العظيمة.

وحجته على عباده، وخليفته في بلاده، والداعي الى الله، والذاب عن حرم الله. الامام المظهر من الذنوب، والمبرأ عن العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدين، وعز المسلمين، وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين. الامام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولاله نظير. مخصوص بالفضل كله، من غير طلب منه له ولا كتاب، بل اختصاص من الفضل الوهاب^(١).

وهكذا يتضح: ان الامام ليس شخصاً عادياً كسائر أفراد المجتمع الاسلامي، بل هو تجسيد عملي للاسلام. ولكن قد لا يتاح لجميع أفراد المجتمع معرفته، إلا بعد اللقاء والاتصال به من قرب. واذا كان الامر كذلك فإن معرفة الامام، وبيان شخصه لا يتمان باختيار الناس، ولا بالتصدي للامامة، وإنما يتمان بالنص. والى هذا اشار الامام الرضا ﷺ في مقاطع اخرى من الحديث السابق. حيث جاء فيه:

«هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيار؟ إن الإمامة أجلُّ قدرًا، وأعظم شأنًا، وأعلى مكانًا، وأمنع جانبًا، وأبعد غورًا من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إمامًا باختيارهم. إن الإمامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل ﷺ بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره، فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، فقال الخليل ﷺ سروراً بها: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم الى يوم

(١) الكافي / ج ١ / ص ١٨٩.

القيامة، وصارت في الصفوة ثم اكرمه الله تعالى بان جعلها في ذريته اهل الصفوة والطهارة، فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً، وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾.

الى ان قال ﷺ:

«فمن ذا الذي يبلغ معرفة الامام أو يمكنه اختياره؟ هيهات هيهات. ضلت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الالباب، وخسئت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الالباء، وكلت الشعراء، وعجزت الأدباء وعيت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله، وأقرت بالعجز والتقصير. وكيف يوصف بكُّله، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من امره، أو يوجد من يقوم مقامه، ويغني غناه؟ لا، كيف؟ وأنى؟! وهو بحيثُ النجمُ من يد المتناولين، ووصف الواصفين. فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟. أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول محمد ﷺ؟ كذبتهم والله أنفسهم، ومنتهم الباطيل، فارتقوا مرتقا صعباً دحضاً، نزل عنه الى الحضيض أقدامهم. راموا إقامة الإمام بعقول حائرة باثرة ناقصة، وآراء مضللة، فلم يزدادوا منه الا بعداً ﴿قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾^(١) ولقد راموا صعباً، وقالوا إفكاً، وضلوا ضلالاً بعيداً، ووقعوا في الخيرة؛ إذ تركوا الامام عن بصيرة، ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم

فصدّهم عن السبيل، وكانوا مستبصرين ﴿^(١) رغبوا عن اختيار الله، واختيار رسول الله ﷺ وأهل بيته إلى اختيارهم، والقرآن يناديهم ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢)، وقال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٣) وقال: ﴿مَالِكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أم لكم كتاب فيه تدرسون؟ إن لكم فيه لِمَا تَخَيَّرُونَ؟ أم لكم إيمانٌ علينا بالغَةَ إلى يوم القيامة إن لكم لِمَا تَحْكُمُونَ؟ سألهم أيهم بذلك زعيم؟ أم لهم شركاءٌ فليأتوا بشركتائهم إن كانوا صادقين﴾^(٤) وقال عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٥) أم ﴿طَعِ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أم ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ إن شرّ الدوابِّ عند الله الصَّمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾^(٦) أم ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾^(٧) بل هو فضلُ الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾

فكيف لهم باختيار الامام؟، والامام عالم لا يجهل، وراع لا ينكل، معدن القدس والطهارة، والنسك والزهادة، والعلم والعبادة؟ مخصوص

(١) النمل / ٣٠.

(٢) القصص / ٢٤.

(٣) الاحزاب / ٣٦.

(٤) القلم / ٤٠.

(٥) محمد / ٢٤.

(٦) الانفال / ٢١-٢٣.

(٧) البقرة / ٩٣.

بدعوة الرسول ﷺ، ونسل المطهرة البتول. لامغمز فيه في النسب، ولايدانيه ذو حسب. في البيت من قريش، والذروة من هاشم، والعترة من الرسول، والرضا من الله عز وجل. شرف الاشراف، والفرع من عبد مناف، ناهي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالامامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله عز وجل، ناصح لعباد الله حافظ لدين الله»

(الى ان قال ﷺ): «فهل يقدرّون على مثل هذا فيختارونه؟ أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدمونه؟ تعدّوا، وبيت الله، الحقّ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. وفي كتاب الله الهدى والشفاء فنبذوه واتبعوا أهواءهم، فذمهم الله ومقتهم وأنفسهم، فقال جل وتعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغيرِ هُدًى من الله إِنَّ الله لايهدي القوم الظالمين﴾. وقال: ﴿فَتَعَسَى لَهُمُ وَاضَلُّ أَعْمَالُهُمْ﴾. وقال: ﴿كَبِيرٌ مَّقْتَنًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطِيعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾. وصلى الله على النبي محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً»^(١).

وفي ضوء هذا الحديث نعرف أن إمامة أهل البيت ﷺ لا تخضع لاختيار الناس، فلو أن شخصاً تصدى للإمامة وبايعه الناس، لما إماماً تجب طاعته شرعاً، إلا إذا كان ذلك الشخص هو الامام الشرعي الذي دلت عليه النصوص^(٢).

(١) الكافي / ج ١ / ص ١٩٨ - ٢٠٣.

(٢) هذا التحديد ينطبق على عصر الحضور، أما في عصر الغيبة فإن تحديد القائد يتم بأساليب أخرى، ويعتوان نيابته عن الامام الاصل.

الآن هذا لا يعني ان يبعة الناس للامام شرط في وجوب طاعته، اذ ان طاعة الامام واجبة على كل شخص سواءً تولى الامام مقامه السياسي أم حيل بينه وبين حقه الشرعي بالقهر والاكراه.

وهنا يبرز سؤال، هو كيف يمكن للامة معرفة إمامها اذا كان للامام صفات خاصة، وهو شخص محدد الاسم، والخصائص. مع ان النصوص الدالة على الإمام تتناقل ضمن دائرة ضيقة من المقربين، ومحاربة من سلطان العصر؟.

والجواب هو أن معرفة الامام تتم بما يلي:

١- تعريف الامام السابق بالامام اللاحق، للاشخاص الذين يثق بهم. إذ بدون هذا التصدي من الامام السابق قد لا يعرفه اقرب المقربين، فضلاً عن البعيدين عن دائرة اهل البيت^(١).

٢- قد لا يعرف بعض المؤمنين بخط اهل البيت ﷺ الامام اللاحق، لعدم استماعهم للنص عليه. ففي هذا الفرض لا بد من معجزة تدل على الامام، وتكون علامة عليه اذا رأى الامام مقتضى لذلك، أو آمن من عيون الاعداء.

٣- طريق الاستدلال العقلي عن طريق اصحاب الائمة، لتحديد شخص الامام في المناطق يحضرون فيها.

وهذا الاسلوب في بيان شخصية الامام، دفع اليه الائمة ﷺ أهل العلم والعقل من ثقافة الشيعة. وقد مارس الائمة هذا الاسلوب؛ لأنه يبعد عنهم

(١) راجع الكافي/ج١/ص٣٠٩، وج٦/٣١١، وج١/٣٢٠.

عيون السلطة من جهة، ولأنه أكثر نفوذاً، وتأثيراً في الناس من جهة أخرى.
ولاهمية هذه الفقرة نذكر الرواية التالية :

«عن يونس بن يعقوب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام فقال: اني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة اصحابك فقال أبو عبد الله عليه السلام كلامك من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله أو من عندك؟ فقال: من كلام رسول الله ومن عندي. فقال أبو عبد الله عليه السلام: فانت اذا شريك رسول الله صلى الله عليه وآله! قال: لا. قال: فسمعت الوحي عن الله عز وجل يخبرك؟ قال: لا. قال: فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله? قال: لا. فالتفت أبو عبد الله اليّ فقال: يا يونس بن يعقوب، هذا قد خصم نفسه قبل أن يتكلم، ثم قال: يا يونس، لو كنت تحسن الكلام كلمته. قال يونس: فيا لها من حسرة! فقلت: جعلت فداك اني سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويل لأصحاب الكلام، يقولون: هذا ينقاد وهذا لا ينقاد، وهذا ينساق وهذا لا ينساق، وهذا نعقله وهذا لانعقله. فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنما قلت: فويل لهم إن تركوا ما أقول وذهبوا اليّ ما يريدون.

ثم قال لي: اخرج اليّ البساب فانظر من ترى من المتكلمين فأدخله. قال: فأدخلت حمران بن أعين، وكان يحسن الكلام، وأدخلت الاحول، وكان يحسن الكلام، وأدخلت هشام بن سالم، وكان يحسن الكلام وأدخلت قيس بن الماصر، وكان عندي أحسنهم كلاماً، وكان قد تعلم الكلام من علي بن الحسين عليه السلام. فلما استقر بنا المجلس، وكان أبو عبد الله عليه السلام قبل الحج يستقر أياماً في جبل، في طرف

الحرم في فإزة^(١) له مضروبة. قال: فأخرج أبو عبد الله ﷺ رأسه من فازته، فإذا هو ببيعر يخبُّ. فقال: هشام ورب الكعبة. قال: فظننا أن هشاماً رجل من ولد عقيل، كان شديد المحبة له. قال: فورد هشام بن الحكم، وهو أول ما اختطت لحيته، وليس فينا الا من هو اكبر سناً منه. قال: فوسع له أبو عبد الله ﷺ وقال: ناصرنا بقلبه ولسانه ويده، ثم قال: يا حمران، كَلِّم الرجل، فكلمه فظهر عليه حمران. ثم قال: ياطاقي (ابو محمد بن النعمان الاحول)، كَلِّمهُ، فكلمه فظهر عليه الاحول. ثم قال: ياهشام بن سالم كَلِّمهُ، فتعارفاً^(٢). ثم قال ابو عبد الله ﷺ لقيس بن الماصر: كَلِّمهُ، فكلمه. فأقبل أبو عبد الله ﷺ يضحك من كلامهما، مما قد أصاب الشامي. فقال للشامي: كَلِّم هذا الغلام، يعني هشام بن الحكم، فقال: نعم. فقال لهشام يا غلام، سلني في إمامة هذا (أي ابو عبد الله ﷺ)، فغضب هشام حتى ارتعد، ثم قال للشامي: يا هذا، أريك أنظر لخلقه أم خلقه لانفسهم؟ فقال الشامي: بل ربي أنظر لخلقه. قال: ففعل بنظره لهم ماذا؟ قال: أقام لهم حجة ودليلاً؛ كيلا يتشتتوا او يختلفوا، يتالفهم ويقيم أودهم ويخبرهم بفرض ربهم. قال: فمن هو؟ قال: رسول الله ﷺ. قال هشام: فيعد رسول الله ﷺ قال: الكتاب والسنة. قال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنا؟ قال: الشامي: نعم. قال: فلم اختلفنا أنا وانت، وصرت الينا من الشام في مخالفتنا إياك؟ قال: فسكت الشامي. فقال:

(١) الفأزة: الخيمة الصغيرة.

(٢) أي لم يغلب احدهما الآخر وفي بعض النسخ (تعوقاً) والمعنى واحد.

أبو عبد الله ﷺ للشامي : مالك لا تتكلم؟ قال الشامي : إن قلت لم نختلف كذبت ، وإن قلت : ان الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف أبطلت ؛ لانهما يحتملان الوجوه . وإن قلت : قد اختلفنا وكل منا يدعي الحق ، فلم ينفعنا اذن الكتاب والسنة . إلا أن لي عليه هذه الحجة ، فقال أبو عبد الله ﷺ : سله تجده ملياً . فقال الشامي : يا هذا ، من أنظر للخلق أربهم أو أنفسهم؟ فقال هشام : ربهم أنظر لهم منهم لانفسهم . فقال الشامي : فهل أقام لهم من يجمع لهم كلمتهم ، ويقيم أودهم ، ويخبرهم بحقهم من باطلهم؟ قال هشام : في وقت رسول الله ﷺ أو الساعة؟ قال الشامي : في وقت رسول الله رسول الله ﷺ . والساعة من؟ فقال هشام : هذا القاعد الذي تشد اليه الرحال ، ويخبرنا باخبار السماء والارض وراثه عن اب عن جد . قال الشامي : فكيف لي أن أعلم ذلك؟ قال : هشام : سله عما بدا لك . قال الشامي : قطعت عذري فعلي السؤال^(١) .

٤- ان القرآن افضل وسيلة للدلالة على الامام والهداية إليه فهو يبين الامام من خلال مجموعة آيات ، يستطيع المسلم الواعي ان يتعرف في ضوئها على الامام الشرعي حيث بين القرآن بان الظالم لا ينال عهد الله وان اتباع الاشخاص الذين انقادوا للهوى ضلال وضياع وليس هناك غير اهل البيت ﷺ معصومين عن الخطا واتباع الهوى .

«عن ابي عبد الله في قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ قال : يهدي الى الإمام»^(٢) .

(١) الكافي / ج ١ / ص ١٧١ .

(٢) الكافي / ج ١ / ص ٢١٦ .

ثانياً: كشف الولاء للامام

بعد معرفة الامام لا بد من أخذ معالم الدين منه، وإعلان الولاء له .
فعن ابي جعفر ﷺ قال: حين نظر الى الناس يطوفون حول الكعبة: «هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية، إنما أمروا أن يطوفوا بها، ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم ومودتهم، ويعرضوا علينا نصرتهم»^(١).

وعنه ﷺ حين رأى الناس بمكة وما يعملون قال: «فعال كفعال الجاهلية . أما والله ما أمروا بهذا، وما أمروا إلا أن يقضوا تَفَثَهُمْ، وليوفوا نذورهم، فيمروا بنا فيخبرونا بولايتهم، ويعرضوا علينا نصرتهم»^(٢). وعنه أيضاً أنه ﷺ قال لسدير: «يا سدير، إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الاحجار فيطوفوا بها، ثم يأتونا فيعلموننا ولايتهم لنا»^(٣).

وهذه يعني إن الناس مطالبون بالارتباط بالامام، والايمان بأنه القائد الشرعي الذي يدينون لله بطاعته، وكشف هذا الولاء له، وعرض نصرتهم عليه .

ثالثاً: طاعة الامام

إن الغرض من الامامة هو سياسة الامة، وبيان احكام الله، ونهوض الحجة على الناس، وهذا يعني ان عدم طاعة الامام يؤدي الى الضلال

(١) الكافي / ج ١ / ص ٣٩٢ .

(٢) الكافي / ج ١ / ص ٣٩٢ .

(٣) المصدر نفسه . ص ٣٩٣ .

والضبياع . «عن سدير قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : إني تركت مواليك مختلفين يتبرأ بعضهم من بعض . قال : فقال : وما انت وذاك؟ إنما كلف الناس ثلاثة : معرفة الائمة ، والتسليم لهم فيما ورد عليهم ، والرد اليهم فيما اختلفوا فيه»^(١) .

وعن ابي عبد الله عليه السلام أنه قال : «من سره ان يستكمل الايمان كله فليقل : القول مني في جميع الاشياء قول آل محمد ، فيما أسروا وما أعلنوا ، وفيما بلغني عنهم وفيما لم يبلغني»^(٢) . و«عن زيد الشحام ، عن ابي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : إن عندنا رجلاً يقال له كليب ، فلا يجيء عنكم شيء إلا قال : أنا أسلم . فسميناه كليب تسليم . قال : فترحم عليه ثم قال : أتدرون ما التسليم؟ فسكتنا . فقال : هو والله الإخبات»^(٣) . وطاعة الامام تعني طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعصيانه كذلك . فالطاعة للامام ليست أمراً مفروضاً على المسلم الموالي لاهل البيت بحكم النص فحسب ، بل هي ايضاً تنبع من اعتقاده الصحيح بأن طاعة الامام هي امتداد لطاعة الرسول .

رابعاً : الانفصال عن ائمة الجور

لقد أبعد ائمة أهل البيت عن حقهم الشرعي في قيادة المجتمع الاسلامي ، وكان ولاية الجور يطرحون أفكاراً ، وتشريعات نابعة من

(١) المصدر السابق / ص ٣٩٠ - ٣٩١ .

(٢) المصدر السابق / ص ٣٩٠ - ٣٩١ .

(٣) المصدر السابق / ص ٣٩٠ / ح ٢ .

أهوائهم . من هنا كان أهم واجبات الانسان المسلم عند أهل البيت هو التنصل ، والابتعاد عن أئمة الجور ، وعدم مداهنتهم . وذلك لان طاعتهم تشكل انحرافاً عن هدي الاسلام . «عن محمد بن عذافر ، عن ابيه قال : قال ابو عبد الله ﷺ : يا عذافر ، نبئت أنك تعامل أبا أيوب والربيع ، فما حالك اذا نودي بك في أعوان الظلمة؟ قال : فوجم أبي . فقال له أبو عبد الله ﷺ لما رأى ما أصابه : أي عذافر ، إنما خوفتك بما خوفني الله عز وجل به . قال محمد : فقدم أبي فما زال مغموماً مكروباً حتى مات»^(١) .

و«عن صفوان الجمال قال : دخلت على أبي الحسن الاول ﷺ ، فقال لي : يا صفوان ، كل شيء منك حسن جميل ، ما خلا شيئاً واحداً . قلت : جعلت فداك ، أي شيء؟ قال : إكراؤك جمالك من هذا الرجل ، (يعني هارون) . قال : والله ما اكرته أشراً ولا بطراً ، ولا للصيد ولا للهو . ولكنني اكرته لهذا الطريق ، (يعني طريق مكة) ، ولا أتولاه بنفسي ، ولكن أبعث معه غلماني . فقال لي : يا صفوان ، أيقع كراؤك عليهم؟ قلت : نعم ، جعلت فداك . قال : فقال لي : أتحب بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟ قلت : نعم . قال : من أحب بقاءهم فهو منهم ، ومن كان منهم كان ورد النار . قال صفوان : فذهبت فبعت جمالي عن آخرها . فبلغ ذلك الى هارون فدعاني ، فقال لي : يا صفوان ، بلغني أنك بعت جمالك . قلت : نعم . قال : ولم؟ قلت : أنا شيخ كبير ، وان الغلمان لا يقومون بالاعمال . فقال : هيهات هيهات ، اني لأعلم من أشار عليك بهذا . أشار عليك بهذا موسى بن

(١) الوسائل / ج ١٢ / ص ١٢٨ .

جعفر. قلت: مالي ولموسى بن جعفر؟ فقال: دع هذا عنك، فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك»^(١).

«عن حميد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: اني وليت عملاً فهل لي من ذلك مخرج؟ فقال: ما اكثر من طلب المخرج من ذلك فعسر عليه. قلت: فما ترى؟ قال: ارى ان تتقي الله عز وجل ولا تعد»^(٢).

وبعد أن القينا ضوءاً خاطفاً حول شخص الامام، والامامة، وموقعها في حساب الامام، ووظيفة المجتمع الاسلامي تجاهه، لا بد أن نعرف الدور الذي يضطلع الامام بحمله في المجتمع الاسلامي، في ظرف تولي حكام الجور السلطة، كما هو الحال في جميع الازمنة التي عاش فيها الائمة، الآ في بعض الفترات الاستثنائية.

إن الامام بما يملك من قاعدة شعبية، ومواهب ربانية، وموقع اجتماعي متميز، يقوم بمسؤولياته بشكل يرتبط بحجم الضغوط السياسية الموجهة لشخصه، أو لقواعده، وبحجم الفرص المتاحة.

ونحن، تاريخياً، نجد ان أهل البيت عليهم السلام قاموا بدورهم الرسالي حتى، وهم في أعماق السجون، أو في ظروف العزلة عن الناس، وهنا نريد ان نوضح بعض المسؤوليات الربانية التي حملها الائمة رغم ظروفهم السياسية الصعبة، ضمن النقاط التالية:

(١) الوسائل / ج ١٢ / ص ١٣١.

(٢) المصدر نفسه / ص ١٣٦.

اولاً: كشف انحراف السلطة

يتفاوت مستوى الوعي الاسلامي للامة الاسلامية في فجر الرسالة الاسلامية في الكم والكيف، وذلك لان الكثير دخل الاسلام بعد وفاة الرسول، ولم يحظ بالعناية التربوية الخاصة على يد الرسول عليه السلام إلا فئة قليلة من المؤمنين.

صحيح ان المجتمع الاسلامي الذي عاصر الرسول ارتفع افراده الى مستوى عالٍ في ميدان المعنويات الا ان ذلك الجانب المشرق في حياة الافراد استند على الزخم العاطفي الناشئ من التاثير برسول الله عليه السلام ولم يستند على حقائق تربوية في عمق الشخصيات التي عاشت زمناً طويلاً في الحياة الجاهلية.

ومشكلة عدم وعي الاسلام بتفاصيله، وروحه العامة، كان يمكن علاجها لوظفر الامام الشرعي بالسلطة، حيث يستطيع مواصلة عملية التربية التي تولاهها الرسول عليه السلام. وبيان معالم الدين المرتبطة بعملية التطبيق بعد وفاة النبي، بيد ان الذي حدث هو ان توكلت السلطة غير اهل البيت، مما فوت فرصة استمرار عملية التربية الكبرى التي بدأها رسول الله عليه السلام. وفي هذا الجو وقف الامام كالطود الشامخ، يكشف الافكار الخاطئة يوضح المواقف الشرعية.

فالامام الحسين عليه السلام يضحى بحياته لإدانة النظام الاموي وتعريف الامة بحقيقته واهدافه الفاسدة، والامام الصادق عليه السلام يضع الاصول والقواعد

الفكرية والتشريعية للامة الاسلامية . والامام الكاظم عليه السلام يزوج في غياهب السجون سنين طويلة لانه مارس امامته في وسط المجتمع الذي يعتقد بامامته .

وكل هذه المواقف، والتعليمات كشفت للامة انحراف الحكام، وابتعادهم عن الاسلام . وبذلك استطاع الامام ان ينتزع ثياب الشرعية التي يتستر بها الحكام، ويكشفهم على واقعهم بوصفهم حفنة من طلاب الدنيا والسلطان .

فالامام عليه السلام يشكل بوجوده الشريف اذانة عملية لائمة الجور . من هنا نلاحظ السر في اجتهاد المنصور في استحضار الامام الصادق عليه السلام . وكذلك اجتهاد المأمون العباسي في تولية العهد لعلي بن موسى الرضا عليه السلام . كل ذلك من اجل تغطية الانحراف الذي جعله ائمة الجور منهجاً سياسياً ثابتاً .

ثانياً: حفظ اصول الاسلام

وبما ان حكام الجور لا يعرفون الاسلام الا وسيلة للسلطة ولا يعرفون شيئاً من مفاهيمه، وتشريعاته، فانهم دسوا تشريعات منافية للعدل . وهنا جاء دور ائمة اهل البيت عليهم السلام في حماية الاصول الاساسية، في مسائل التوحيد، والامامة، والتفاصيل التشريعية . حيث بادروا الى طرح المعرفة القرآنية والفقهية وعلى جميع الأصعدة، وحافظوا بذلك على نقاء الإسلام بعيداً عن يد التحريف، التي مارسها الجهلاء في المنهج الاسلامي، وتفصيلاته التشريعية والسلوكية .

ثالثاً: قيادة المجتمع الاسلامي

إن عدم تولي الامام السلطة لايسحب جميع فرص العمل في جميع الجوانب التي تتصل بمنصب الامامة . فقد لايحكم الامام، ولكنه مع ذلك يمارس واجباته الرسالية تجاه قواعد الشعبية . اذ لايمكن ان ينهى الامام عن تولّي ولاية الجور، ويأمر انصاره بالانفصال عنهم، ثم مع ذلك يترك تلك القواعد في حالة فوضى.

فالامام يمارس وظيفته الربانية في قيادة حركة الامة، على وفق الاتجاه الرسالي بوصفه أمين الله في حلاله وحرامه .

وإذا كانت الامة قد أُجبرت على الانقياد للظلمة بالقوة، فإن الامام يمارس ولايته الشرعية بصورة غير مكشوفة للحكام، وهذا يعني ان السلطة ليست هي الوسيلة الوحيدة لقيادة المجتمع الاسلامي، بل ان الامام يخلق طرقاً اخرى لممارسة حقه السياسي .

أن هذه العلاقة بين الامام والامة لم تكن على مستوى واحد في جميع الاحوال وإنما تختلف بحسب الظروف السياسية . فمثلاً، في عصر الامام السجاد ﷺ لم يستطع الامام ان يمارس امامته في المجتمع الاسلامي، الا ضمن اطر محدودة، ولكنه ﷺ ملأ جوانب اخرى ضرورية لقيادة الحركة السياسية والاجتماعية .

وهذا لا يعني أن الامام ترك العمل السياسي وقيادة الامة، وإنما يعني أن الامام مارس دوره الرباني ضمن صيغ تستخدم الرسالة على المسار

الاستراتيجي ، ولنسجل حديثين يوضحان ان الامام لا يعمل للمدى القريب فقط ، بل يضع في حسابه المدى البعيد أيضاً :

عن «علي بن يقطين قال : قال لي أبو الحسن عليه السلام : الشيعة تربى بالاماني منذ مئتي سنة . قال : وقال يقطين^(١) لابنه علي بن يقطين : ما بالنا قيل لنا فكان ، وقيل لكم فلم يكن ؟ قال : فقال له علي : إن الذي قيل لنا ولكم كان من مخرج واحد ، غير أن أمركم حضر ، فأعطيتم محضه ، فكان كما قيل لكم . وأن أمرنا لم يحضر فعللنا بالاماني . فلو قيل لنا ان هذا الامر لا يكون الا الى مئتي سنة ، او ثلاثمئة سنة لقسست القلوب ، ولرجع عامة الناس عن الإسلام ولكن قالوا ما أسرعه وما أقربه ، تالفاً لقلوب الناس ، وتقريباً للفرج»^(٢) .

وعن «مهزم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (اي مهزم) ذكرنا عنده ملوك آل فلان ، فقال : إنما هلك الناس من استعجالهم لهذا الامر . إن الله لا يعجل لعجلة العباد . ان لهذا الامر غاية ينتهي اليها ، فلو قد بلغوها لم يستقدموا ساعة ولم يستأخروا»^(٣) .

إن مسألة السلطة لا تشكل عقبة في طريق الامام في قيادة المجتمع الاسلامي . إنما هي تؤثر في سعة تلك القيادة ، ففي الظروف المضطربة يتقلص نشاط الامام ، ليصل الى حدود معينة من النشاط السياسي . ولكنه

(١) يقطين هذا أحد كبار الحركة العباسية ، وهو والد علي بن يقطين الامامي المشهور .

(٢) الكافي / ج ١ / ص ٣٦٩ / ح ٦ و ٧ .

(٣) الكافي / ج ١ / ص ٣٦٩ / ح ٦ و ٧ .

لا يصل الي' درجة الانفصال والعزلة التامة؛ لان ذلك مخالف المفهوم الامامة . وفي ظروف الانفتاح يمارس الامام نشاطه السياسي بشكل واسع وربما ملحوظ . وهذا النشاط والسعي لا ينفصل عن العمل لاستلام السلطة، اذ ليس استلام السلطة عملاً غير مرضي عند الائمة، بل هو مطلوب من أجل تحقيق حاكمية الله . ولكن نوعية العلاقة بين الامام والامة والمنهج السياسي الذي يتبعه الحاكم الفاسق وطريقته في القيادة هي التي تقرر حدود نشاط الامام لاستلام السلطة .

رابعاً: توسيع دائرة الولاء للامام

وكما يحرص الامام علي' قيادة الامة باتجاه الاهداف الاسلامية، يحرص ايضاً علي' هداية اكبر عدد من ابناء المجتمع الاسلامي الي' الحق والارتباط بالامام من اهل البيت بوصفه أمين الله علي' دينه .

اذ لا تجد «علماً صحيحاً، الا شيئاً خرج من عندنا اهل البيت»^(١) .

كما يقول الامام الباقر ﷺ للحكم ولسلمة بن كهيل :

«ليس عند احد من الناس حق ولا صواب، ولا احد من الناس يقضي بقضاء حق الا ما خرج منا اهل البيت . واذا تشعبت بهم الامور كان الخطأ منهم والصواب من علي ﷺ»^(٢) . كما يقول أبو جعفر ﷺ .

واذا كان الامر كذلك حقاً للامام أن يوسع دائرة ارشاده لتشمل سائر افراد المجتمع، بل وتصل الي' أقرب المقربين من السلطة .

(١) الكافي / ج ١ / ص ٣٩٩ .

(٢) الكافي / ج ١ / ص ٣٩٩ .

القسم الثاني

موقف الامام الصادق عليه السلام

من ثورة زيد بن علي (رض)

نتناول في هذا القسم موقف زيد بن علي من الامامين الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام ، وتحليل موقف الامامين عليهم السلام من زيد (رض) فيقع الحديث ضمن بحثين :

البحث الاول : موقف زيد بن علي (رض) من الامامين الباقر والصادق عليهم السلام
 لقد ترعرع زيد بن علي في منزل الامام الباقر ، وتحت اشرافه بعد شهادة الامام السجاد عليه السلام . حيث كان زيد صغيراً لم يبلغ الحلم . وكانت العلاقة بين زيد وبين الامام الصادق علاقة وثيقة وليست بمستوى العلاقة بين الامام الصادق وبين محمد بن عبد الله حيث طلب الاخير البيعة من الامام الصادق فرفض الامام ذلك ، واراد محمد ان يسجن الامام الصادق على بعض الروايات ^(١) .

الأ إن متانة العلاقة بين زيد والامامين بمجرد ما لا تكشف عن انه يدين

(١) راجع الكافي / ج ١ / ص ١٦ ، وذكر المنازعة بين الامام ومحمد تجده في ص ٣٦٣ .

١٩٢ □ موقف الامام الصادق عليه السلام من ثورة زيد بن علي (رض)

بامامتتهما . من هنا لا بد ان نبحت عن حقيقة موقف زيد من إمامة الباقر والصادق عليه السلام فهل يؤمن بها؟ .

بين يدي الباحث فرضان هما:

الفرض الاول: عدم قول زيد بامامة الباقر والصادق عليه السلام ويمكن الاستشهاد لهذا الفرض بالمؤشرات التالية :

اولاً: المجادلة والنقاش الساخن الذي أجراه زيد مع الامام الباقر عليه السلام الذي قال فيه زيد للامام: «ليس الامام منا من جلس في بيته، وارخى بستره، وثبّط عن الجهاد، ولكن الامام منا من منع حوزته، وجاهد في سبيل الله حق جهاده، ودفع عن رعيته، وذبح عن حريمه»^(١).

ثانياً: ان زيدا رفض نصيحة الامام الصادق حين نصحه بعدم الخروج، وهذا يعني عدم اعتقاده بامامته، والآ عمل بنصيحته عليه السلام.

ثالثاً: الرواية التي رواها محمد بن النعمان مؤمن الطاق في حواره، مع زيد، حين طلب منه الخروج معه فرفض محمد بن النعمان ذلك، وصرح له بعدم إمامته (اي امامة زيد)، وأشار الى إمامة الباقر عليه السلام فلم يقبل زيد منه ذلك، حيث قال له:

«يا أبا جعفر، كنت أجلسُ مع أبي علي الخوان، فيلقمني البضعة السمينة، ويبرد لي اللقمة الحارة حتى تبرد شفقةً علي، ولم يشفق علي من حر النار، اذ أخبرك بالدين (أي الامامة) ولم يخبرني به؟» فقال له مؤمن الطاق: من شفقتك عليك من حر النار «لم يخبرك خاف عليك ان لاتقبله

(١) الكافي / ج ١ / ص ٣٥٧.

موقف زيد بن علي (رض) من الباقر والصادق ﷺ □ ١٩٢

فتدخل النار، واخبرني انا. فإن قبلت نجوت وإن لم أقبل لم يبال أن أدخل النار...»^(١).

فقد صرح زيد في هذه الرواية ان ابيه (الامام زين العابدين) لم يخبره بإمامة أخيه الباقر، فضلاً عن الامام الصادق ﷺ.
رابعاً: رواية اخرى هي:

«كان سليمان بن خالد خرج مع زيد بن علي حين خرج. قال: فقال له رجل، ونحن وقوف في ناحية وزيد واقف في ناحية: ماتقول في زيد هو خير أم جعفر؟ قال سليمان: قلت: والله ليوم من جعفر خير من زيد ايام الدنيا. قال: فحرك دابته واتى زيدا، وقص عليه القصة. فمضيت نحوه فانتهيت الى زيد وهو يقول:

جعفر إمامنا في الحلال والحرام»^(٢).

الأ ان هذه الوجوه جميعاً غير تامة اذ:

الوجه الاول يرد عليه:

إن حديث زيد الذي تقدم يمكن فهمه بشكل آخر. إذ ان منشأ اعتبار هذه الرواية من ادلة اثبات عدم اعتقاد زيد بإمامة الباقر، هو ما يفهم من الرواية من أن زيدا يريد ان يؤكد مبدأ، وهو ان حق الامامة لم يثبت بالنص، وإنما يثبت بالتصدي والخروج ومواجهة ولاية الجور. وحيث يقال ان الامام الباقر لم يخرج لاثبات عدم امامته.

(١) الكافي / ج ١ / ص ١٧٤.

(٢) معجم رجال الحديث / ج ٧ / ص ٣٤٧.

ولكن عند التأمل في حديث زيد، يمكن استفادة معنى آخر حاصله أن الامام من أهل البيت هو الذي يمارس ولايته، ويعلن مواقفه السياسية ظاهراً ومن ثمّ ليس هنالك موجب للتكتم، والتقية، والعمل ضمن دائرة ضيقة.

وعلى هذا كان نقاش زيد حول نوعية تحرك الامام، فهو يرى ان على الامام ان يجاهر بالعداء للحكام، ان يرفع السلاح. وهذا بالطبع لا ينافي اعتقاد زيد بامامة الباقر عليه السلام ^(١).

وزيد انما يدعو هنا الامام ليتحرك ضد النظام تحركاً مسلحاً، في ضوء حساباته الشخصية، وعلى أساس علاقاته مع أهل الكوفة فهو يرى الاولوية للعمل العسكري، حتى لو ادى ذلك العمل الى شهادة الامام، كما تحرك الامام الحسين عليه السلام واستشهد في واقعة كربلاء. وعلى هذا الاساس فإن الرواية لاتصلح شاهداً لإثبات عدم اعتقاد زيد بامامة الباقر عليه السلام.

وبعبارة مختصرة ان الرواية تدل على ان زيدا يرى لزوم التحرك العسكري على الامام لا انه يرى ان العمل العسكري علامة على الامامة.

(١) ويرد على هذا الوجه: ان الامام هو اعرف بتكليفه الشرعي من غيره، فاذا كان زيد يعتقد بامامة الباقر، فلا موجب للنقاش معه في حدود وظيفة الامام لانه اعرف بهامنه. مع ان الرواية تدل على سوء الادب مع الامام، مما يشكك في صدورها، لان اساءة الادب مع الامام ايضاً تنافي اتصاف زيد بالعلم والتقوى، كما ان هذه الرواية لو صحت لدلت على عدم ايمان زيد بأبائه ائمة شرعيين، لان الباقر والسجاد عليهما السلام لم يقوموا بالسيف.

موقف زيد بن علي (رض) من الباقر والصادق عليهما السلام □ ١٩٥

اما الوجه الثاني : فإنه يمكن أن يقال ان الامام الصادق عليه السلام حين نصحه لم يأمره بعدم الخروج ، إنما أراد كشف مصير حركته له لكي يكون على بصيرة من أمره ، ولا يفاجأ بموقف أهل الكوفة ، والآ فإن أصل الخروج أمر يقبله الامام ، اذا حدث في وقته ، وبشروطه المناسبة كما تقدم اثبات ذلك .
فعدم قبول نصيحة الامام يعني قبوله بالمصير الذي سوف يؤول اليه ، نتيجة لفشل ثورته ، وليس في ذلك خروج عن طاعة الإمام إذ إن الامام لم يأمره بعدم الخروج ، وإنما نصحه بعدم الخروج . وزيد لم يقبل النصيحة لانه قبل نتائج الخروج التي كشفها له الامام ، ولم يعص امرأ للامام^(١) .

اما الوجه الثالث : فيرد عليه أن

«هذه الرواية ، وإن كانت بحسب السند قوية ، إلا أن دلالتها على قدح زيد (وعدم اعتقاده بإمامة الباقر والصادق عليهما السلام) تتوقف على عدم اعتراف زيد بوجود حجة غيره ، وأنه لو كان لاخبره أبوه بذلك . وقد ناظره الاحول (مؤمن الطاق) في ذلك ، وذكر ان عدم إخبار أبيه إياه بذلك كان شفقة منه عليه ، وهذه فاسدة جزماً . وبيان ذلك ان الاحول كان من الفضلاء المبرزين ، وكان عارفاً بمقام الامامة ومزاياها ، فكيف يمكن ان ينسب الى السجاد عليه السلام انه لم يخبر زيدا بالامامة بعده ، شفقةً منه عليه؟ وهل يجوز إخفاء الامامة من جهة الشفقة النسبية؟ على أن زيدا ، والعياذ بالله ، لو كان بحيث لو أخبره السجاد عليه السلام الامام بعده لم يقبله فهو كان من المعاندين ، فكيف يمكن ان

(١) وان شئت عبر : ان امر الإمام زيدا أمر إرشادي ومن الواضح ان مخالفة الامر الإرشادي ليس فيها معصية .

يكون مع ذلك مورداً لشفقة الامام؟

فالصحيح أن الرواية غير ناظرة الى ذلك، بل المراد بها ان زيدا حيث طلب من الاحول الخروج معه، وهو كان من المعاريف، وكان في خروجه معه تقوية لامر زيد، اعتذر الاحول عن ذلك بان الخروج لا يكون الا مع الامام، والا فالخارج يكون هالكاً، والمتخلف ناجياً. وحيث لم يتمكن زيد من جوابه بأنه مأذون من قبل الامام، وأن خروجه بأذنه، لانه كان من الاسرار التي لا يجوز له كشفها أجابه بنحو آخر وهو أنه عارف بوظيفة وأحكام دينه، واستدل عليه بأنه كيف يمكن ان يخبرك أبي بمعالم الدين، ولا يخبرني بها مع كثرة شفقتة علي؟ وأشار بذلك الى أنه لا يرتكب شيئاً لا يجوز له، إلا أنه لم يصرح بالاذن خوفاً من الانتشار، وتوجه الخطر الى الامام عليه السلام. ولكن الاحول لم يفهم مراد زيد فقال: عدم إخباره كان من شفقتة عليك واراد بذلك أنه لا يجوز الخروج بدون إذن الامام، وقد أخبرني بذلك السجاد ولم يخبرك بذلك شفقةً منه عليك، فتحير زيد في الجواب فقال: «والله لئن قلت ذلك لقد حدثني صاحبك بالمدينة اني أقتل وأصلبُ بالكناسة» واراد بذلك بيان ان خروجه ليس لطلب الرئاسة والزعامة، بل هو يعلم بأنه يقتل ويصلب. فخروجه لامر لا يريد بيانه.

هذا وان الاحول لم يصل الى ما اراده زيد، فحجَّ وحدث ابا عبد الله عليه السلام بالقصة. وأما قول ابي عبد الله عليه السلام: «أخذته من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوق رأسه، ومن تحت قدميه، ولم تترك له مسلكاً يسلكه» فهو لا يدل على قدح زيد، وانما يدل على حسن

موقف زيد بن علي (رض) من الباقر والصادق عليهما السلام □ ١٩٧

مناظرة الاحول في عدم إجابته زيداً في الخروج معه، حيث انه لم يكن ماذوناً في ذلك من قبل الامام عليه السلام. والمفروض أنه لم يكن عالماً بأن زيداً كان ماذوناً من قبله.

ويؤكد ما ذكرناه ما في عدة من الروايات من اعتراف زيد بإمامة ائمة الهدى عليهم السلام ^(١).

اما الوجه الرابع فيرد عليه :

أن «احتمال ان يكون المقصود بذلك (أي بحديث زيد ان جعفر بن محمد امامنا في الحلال والحرام) انه هو امامنا في مثل الصلاة والحرمه شرب النبيذ مثلاً، لافي الجهاد والقيادة الاجتم، عية. خلاف الظاهر. فإن استعمال كلمة الحلال والحرام وقتئذ يشملان كل مساحة الحياة، وان إمام الحلال والحرام له قيادة العالم اجمع» ^(٢).

الفرض الثاني : اعتقاد زيد بإمامة الباقر والصادق عليهما السلام ويدل على صحة هذا الفرض الكثير من الشواهد، والدلائل التالية :

اولاً: قول زيد (رض) : «جعفر إمامنا في الحلال والحرام»، وقوله : «من اراد الجهاد فإليّ، ومن اراد العلم فإليّ ابن اخي» وهذا الكلام يدل على اعتقاده بإمامة الصادق، اذ لا يمكن الفصل بين العلم، وبين القيادة السياسية (او قل الامامة). فمعنى كلامه : «من اراد الجهاد فإليّ» أي من اراد حمل السلاح، فلينضم إليّ في جهاد الطاغوت، ومنه يتضح اعتقاده بإمامة

(١) معجم رجال الحديث / ج ٧ / ص ٣٥٥.

(٢) الكفاح المسلح في الإسلام / ص ٩٥.

١٩٨ □ موقف الامام الصادق عليه السلام من ثورة زيد بن علي (رض)

الباقر عليه السلام اذ ينطبق كلا الحديثين على الامام الباقر عليه السلام بلا ريب .

ثانياً: «عن عمرو بن خالد، قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام: في كل زمان رجل منا اهل البيت يحتج الله به على خلقه، وحجة زماننا ابن اخي جعفر بن محمد . لا يضل من تبعه، ولا يهتدي من خالفه»^(١)

وتوجد روايات تصرح بان زيدا لم يدع الامامة لنفسه كما في الرواية التالية :

ثالثاً: «عن المتوكل بن هارون في حديث، قلت ليحيى بن زيد: يا ابن رسول الله، إن أباك قام بدعوى الامامة، وخرج مجاهداً في سبيل الله، وقد جاء عن رسول عليه السلام أنه ذم من خرج مدعياً للامامة كاذباً . فقال: مه يا ابا عبد الله، إن ابي اعقل من أن يدعي ما ليس له بحق، وإنما قال: ادعوكم الى الرضا من آل محمد»^(٢) .

رابعاً: صيغة البيعة حيث قال: تباعونني على الرضا من آل محمد» ولم يبايع على اساس انه الامام، فهذا الحديث يدل على انه لم يدع الامامة وحيث ان منصب الامامة واجب فلا محالة يثبت اعتقاده بإمامة الصادق عليه السلام . ومن قبله الامام الباقر عليه السلام .

(١) ابو الحسين زيد الشهيد / ص ٣٦ .

(٢) المصدر نفسه / ص ٢٨ .

البحث الثاني : موقف الامام الصادق من ثورة زيد بن علي (رض):

بعد ان درسنا موقف زيد من الامامين الباقر والصادق عليهما السلام على المستوى النظري، جاء دور بحث موقف الامام الصادق عليه السلام من ثورة زيد (رض).
لقد استعرضنا سابقاً موقف الإمام من مسألة السلطة، وتقدم أن الإمام يستهدف من جميع نشاطاته السياسية تحقيق حاكمية الله، وتحقيق هذه الحاكمية يتم بوجود طرفين: الإمام الحجة، والأمة التي تبدي طاعتها للإمام.

وهذا لا يعني أن الإمام يُعفى عن مسؤولياته الشرعية، إذا تسلط على الأمة ظالم باغ، يحكم بغير ما أنزل الله كما لا يعني أن عليه رفع السلاح على أي تقدير لاسترجاع الحق الشرعي، وإنما يمارس وظيفته الربانية في ضوء معطيات تفاعل الأمة مع الرسالة، ومع الإمام، وعلاقتها مع الحاكم.
ففي الظروف التي تكون الأمة جاهلة بمسؤولياتها غير عارفة بالمبادئ التي تتصل بالحكم والقيادة، فإن الإمام يوجه اهتمامه لإشباع هذا الجانب لخلق الوعي المبدئي، والسياسي المناهض للسلطان الظالم.
وحين يرى أن الأمة تعلن ولاءها للإمام، وتسعى لتحكيم القيم الإسلامية، وتبذل جهدها في هذا الامر، فإن الإمام يولي اهتمامه للإطاحة بالطاغوت، وتولي السلطة.
وهكذا في جميع الأدوار يشخص الإمام حاجة المرحلة، ويمارس وظيفته الشرعية على وفق متطلباتها.

٢٠٠ □ موقف الامام الصادق عليه السلام من ثورة زيد بن علي (رض)

فمسار الإمام السياسي يتبع من حيثُ حجمه، ونوعيته الحقائق السياسية والاجتماعية التي تكتنف الإمام .

فإذا كان الظرف السياسي لا يسمح للإمام برفع السلاح، كما حصل للإمام الحسن، أو للإمام الصادق عليه السلام، فإن ذلك لا يمنع من اعطاء الإذن لمن يثق بهم ويرى قدرتهم على إضعاف، أو إسقاط السلطة الظالمة، وهذا بالضبط ما فعله الإمام الصادق عليه السلام مع زيد حيث أن الإمام الصادق عليه السلام كان في ظرف خاص يستوجب بناء الأسس، والأصول التشريعية وبيان المفاهيم الإسلامية الاصيلية، لمواجهة حالة الفراغ والخلط الفكري، الذي لف الأمة . وهذه الأسس تشكل أرضية متينة للبناء السياسي للأمة، على وفق مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

وبعبارة أخرى: أن جهود الإمام تلك في الجوانب الفكرية، والتشريعية تتصل بالحياة السياسية للأمة . وقد تقدم بعض الأحاديث التي بينت شدة نقد المعصوم للتعاون مع السلطان، كحديث الإمام الصادق عليه السلام لعذافر، وحديث الإمام الكاظم عليه السلام لصفوان الجمال .

ولكن مثل هذا الظرف لا يمنع من منح الإذن لزيد بن علي، لحمل السلاح، وممارسة عمل عسكري ضد الحكم الأموي والذي يدل على ذلك مايلي :

١- قول الإمام الرضا عليه السلام للمأمون: «لاتقس أخي زيدا إلى زيد بن علي؛ فإنه كان من علماء آل محمد عليهم السلام . غضب الله عز وجل فجاهد أعداءه حتى قُتل في سبيله . ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر عليه السلام،

موقف الامام الصادق من زيد بن علي (رض) □ ٢٠١

إنه سمع أباه جعفر بن محمد بن علي عليه السلام يقول: رحم الله عمي زيدا، إنه دعا إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام ولو ظفر لوفى بما دعا إليه. ولقد أستشارني في خروجه فقلت له: يا عم، إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك. فلما ولي قال جعفر بن محمد عليه السلام: ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه^(١).

وواضح من هذه الرواية أن الإمام الصادق عليه السلام أذن لزيد في الخروج ولكن زيدا أخفى ذلك خوفاً على الإمام من بطش هشام، وذلك لأن الإمام يعلم بأنه سوف تترتب نتائج إيجابية على ثورته كتحديد الصورة الكاملة لموقف أهل البيت عليهم السلام من الأوضاع القائمة وتنبه الأمة على حجم الفساد والابتعاد عن تعاليم الإسلام.

وكما أعطى الإمام الصادق عليه السلام الإجازة لزيد بالخروج فإنه عليه السلام أعطى إجازة عامة لشيعة للمساهمة في ثورة زيد.

ولاريب أن ذلك الإذن ليس بمعنى الدعوة العلنية للمشاركة مع زيد في خروجه، وإنما هي تلميحات أولية قبل الثورة، ووصف الثوار الذين خرجوا معه ونالوا درجة الشهادة بأجمل الاوصاف. فقد قال الإمام الصادق عليه السلام لما خرج زيد من عنده: «الويل لمن سمع واعيته ولم يجبه».

وهذه عبارة واضحة في لوم من يحضر الحادثة ويتخلف عن نصرة زيد. وقد دخل عمرو بن القاسم على الإمام الصادق عليه السلام، وفي حضرته مجموعة من الشيعة الذين رفضوا زيدا. فقال عمرو للإمام وهو يشير إلى

(١) عيون أخبار الرضا / باب ٢٥ / ح ١.

٢٠٢ □ موقف الامام الصادق عليه السلام من ثورة زيد بن علي (رض)

الرافضة: «إن هؤلاء يبرأون من عمك زيد. قال: يبرأون من عمي زيد؟ قلت: نعم. قال برئ الله ممن يبرأ منه»^(١).

وعن عبد الله بن سيابة قال: خرجنا ونحن سبعة نفر فأتينا المدينة فدخلنا على أبي عبد الله الصادق عليه السلام، فقال لنا: أعندكم خبر عمي زيد؟ فقلنا: قد خرج أو هو خارج. قال: فإن أتاكم خبر فاخبروني. فمكثنا أياماً، فأتني رسول بسام الصيرفي بكتاب فيه: أما بعد فإن زيد بن علي قد خرج يوم الأربعاء غرة صفر، فمكث الأربعاء والخميس، وقتل يوم الجمعة، وقتل معه فلان وفلان. فدخلنا على الصادق عليه السلام فدفعنا إليه الكتاب، فقرأ، وبكى ثم قال:

إنا لله وإنا إليه راجعون. عند الله تعالى أحسب عمي، إنه كان نعم العم. إن عمي كان رجلاً لدينانا وآخرتنا. مضى والله عمي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي والحسن والحسين صوات الله عليهم»^(٢).
وعن الفضل بن يسار:

«... فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت في نفسي: والله لا أخبرنه^(٣) بقتل زيد بن علي فيجزع عليه. فلما دخلت عليه قال: ما فعل عمي زيد؟ فخنقتني العبرة، فقال: قتلوه؟ قلت: أي والله قتلوه. قال: فصلبوه؟ قلت: إي والله فصلبوه. قال: فأقبل يبكي ودموعه تنحدر عن جانبي خده

(١) انساب الاشراف ج ٣/ هامش ١ صفحة (٢٢٩).

(٢) عيون أخبار الرضا/ باب ٢٥/ ح ٦.

(٣) الموجود في بعض النسخ (لا أخبرنه) إلا أن سياق الكلام لا يساعد على ذلك والصحيح ما أثبتناه.

موقف الامام الصادق من زيد بن علي (رضي) □ ٢٠٢

كانها الجمان، ثم قال: يا فضيل، شهدت مع عمي زيد قتال أهل الشام؟ قلت: نعم. فقال: فكم قتلتم منهم؟ قلت: ستة. قال: فلعلك شاك في دمائهم. قلت: لو كنت شاكاً ما قتلتهم فسمعتهم وهو يقول: أشركني الله في تلك الدماء. مامضى والله زيد عمي واصحابه إلا شهداء مثل مامضى عليه علي بن ابي طالب عليه السلام واصحابه^(١).

و«عن حمزة بن حمران قال: دخلت الي الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقال لي: يا حمزة، من أين أقبلت، قلت له: من الكوفة. قال: فبكى عليه السلام حتى بلت دموعه لحيته. فقلت له: يا ابن رسول الله، مالك أكثرت البكاء؟ فقال: ذكرت عمي زيدا وما صنع به فبكيت، فقلت له: وما الذي ذكرت منه؟ فقال: ذكرت مقتله وقد أصاب جبينه سهم فجاءه ابنه...» الي آخر الحديث^(٢).

وجاء في إرشاد المفيد:

«ولما قتل (زيد) بلغ ذلك من ابي عبد الله الصادق عليه السلام كل مبلغ وحزن له حزناً عظيماً، حتى بان عليه، وفرق من ماله في عيال من أصيب معه من أصحابه الف دينار. روى ذلك ابو خالدة الواسطي قال: سلم الي ابو عبد الله عليه السلام الف دينار، وامرني أن أقسمها في عيال من أصيب مع زيد. فأصاب عيال عبد الله بن الزبير أخي فضيل الرسان منها أربع دنائير^(٣).

(١) عيون أخبار الرضا / باب ٢٥ / ص ٢٥٢ / ح ٧.

(٢) الامالي / ص ٣٢١ / ح ٣.

(٣) الارشاد / ص ٢٦٩.

٢٠٤ □ موقف الامام الصادق عليه السلام من ثورة زيد بن علي (رض)

بل نقل الطبري رواية، نقلها كذلك صاحب انساب الاشراف، ونحن نوردها للتأييد على موقف الامام الصادق عليه السلام: فقد جاء في تاريخ الطبري: «وكانت طائفة منهم (أي من الذين رفضوا البيعة لزيد) قبل خروج زيد مروا الى جعفر بن محمد بن علي، فقالوا له: إن زيدا بن علي فينا يبايع، أفترى لنا ان نبايعه؟ فقال لهم: نعم بايعوه، فهو والله افضلنا وسيدنا وخيرنا. فجاؤوا فكنتموا ما أمرهم به»^(١).

ومجموع هذه الروايات تكشف بوضوح ان الامام لم يمنع زيدا من الخروج، وتابع اخبار الثورة، وتآلم كثيراً للنتيجة التي وصلت اليها، وقدم العون لاسر الشهداء، فماذا تعني كل هذه المواقف؟! .
لاشك في أنها تدل على ان الامام الصادق عليه السلام كان الغائب الحاضر في ثورة زيد.

نوري حاتم

رمضان المبارك / ١٤٠٧

قم المقدسة

(١) الطبري / ج ٨ / ص ٢٧٢ . ولكن صاحب انساب الاشراف في الجزء الثالث ص ٢٤٠ سمى المسؤول في الرواية «محمد بن علي الباقر»، في حين ان الطبري نقل انه «الامام جعفر بن محمد» وهذا مانرجحه، لاننا نستبعد ان يكون زيد قد اخذ البيعة في حياة الامام محمد الباقر عليه السلام، ونستبعد ان يخرج هذا اللون من الحديث عن الامام الباقر عليه السلام، بل وصدوره عن الامام الصادق إلا انه على تقدير صدوره يريد منه مجرد التشجيع على مشاركته في الثورة لاثبات الافضلية له كما هو ظاهر الحديث.

مصادر الكتاب

- ١- القرآن الكريم
- ٢- اصول الكافي
- ٣- اختيار معرفة الرجال
- ٤- أنساب الاشراف
- ٥- أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف
- ٦- أمالي الصدوق
- ٧- تاريخ اليعقوبي
- ٨- تاريخ الامم والملوك
- ٩- تاريخ الإسلام
- ١٠- تذكرة الخواص
- ١١- تلخيص الشافي
- ١٢- ثورة الحسين
- ١٣- ثورة زيد
- ١٤- جهاد الشيعة
- ١٥- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام
- للشيخ الكليني
- للكشي
- للبلاذري
- لشاهد الصدر
- للشيخ الصدوق
- أحمد بن يعقوب
- للطبري
- الدكتور حسن إبراهيم حسن
- لابن الجوزي
- للشيخ الطوسي
- الشيخ محمد مهدي شمس الدين
- ناجي حسن
- الدكتورة سميرة مختار الليثي
- للشيخ النجفي

- ١٦- حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام
- ١٧- رجال الطوسي
- ١٨- زيد الشهيد
- ١٩- زيد بن علي بن الحسين
- ٢٠- شرح الباب الحادي عشر
- ٢١- شرح نهج البلاغة
- ٢٢- علي ومناوئوه
- ٢٣- عيون أخبار الرضا
- ٢٤- قرب الاسناد
- ٢٥- كامل الزيارات
- ٢٦- الكامل في التاريخ
- ٢٧- الكفاح المسلح في الإسلام
- ٢٨- الارشاد
- ٢٩- العراق في العصر الاموي
- ٣٠- الاحكام السلطانية
- ٣١- النزاع بين افراد البيت الاموي
- ٣٢- الامامة والسياسة
- ٣٣- معجم رجال الحديث
- ٣٤- معاوية بن أبي سفيان
- ٣٥- مقاتل الطالبين
- ٣٦- مجمع الرجال
- ٣٧- وسائل الشيعة
- الشيخ باقر شريف القرشي
- للشيخ الطوسي
- لحسن الامين
- علي محمد دخيل
- للعلامة الحلبي
- لابن ابي الحديد
- الدكتور نوري جعفر
- للشيخ الصدوق
- للحميري
- لابن قولويه
- لابن اثير
- للسيد كاظم الحائري
- للمفيد
- ثابت اسماعيل الراوي
- ابو الحسن علي بن محمد الماوردي
- الدكتور رياض عيسى
- لابن قتيبة
- للسيد الخوئي
- عباس محمود العقاد
- أبو الفرج الاصفهاني
- للقهباي
- للحر العاملي

فهرس المحتويات

المقدمة ١٣

الفصل الأول

شخصية زيد ١٥

الفصل الثاني

الملاح العامة لمصر الثورة ٢٣

اولاً: طبيعة الحكم الاموي وخصائصه ٢٥

الف - طبيعة الحكم الاموي واتجاهه ٢٦

- ب- الصراعات السياسية على السلطة ٣٤ ..
- ١- صور من الصراعات السياسية ٣٥ ..
- ٢- جذور الصراع وأسبابه الفكرية والسياسية ٣٩ ..
- تأثير الصراعات السياسية على الجماهير ٤١ ..
- ج- طبيعة الفتوحات العسكرية ٤٢ ..
- ثانياً: نشوء المذاهب الفكرية والسياسية ٤٦ ..

الفصل الثالث

- ٤٩ دوافع الثورة وأهدافها

التقسيم الأول

- ٥١ دوافع الثورة
- أولاً: تفشي الظلم والفساد في المجتمع الاسلامي ٥٥ ..
- ثانياً: الاستعداد الشعبي للثورة ٥٩ ..
- ١- الكوفة، القاعدة التاريخية للثورة ٦١ ..
- ٢- أهل الكوفة يبايعون زيدا على الثورة ٦٤ ..
- ثالثاً: إمكانات وقدرات زيد في قيادة الثورة ٦٩ ..
- ١- معرفته بالرسالة ٧٢ ..
- ٢- معرفة زيد بنظام الحكم الاموي ٧٤ ..
- ٣- قدرته ونضجه الشخصي ٧٥ ..

فهرس المحتويات □ ٢٠٩

- ٧٥ ٤- مكانته الاجتماعية في وسط الامة
٧٥ ٥- علاقاته السياسية والاجتماعية

القسم الثاني

اهداف الثورة

٧٧

- ٨٠ اولاً: الثار لدم الامام الحسين بن علي ؑ
٨٢ الاساس الوجداني والسياسي لشعار (يالثاراا الحسين)
٨٢ إحياء صور الثورة
٨٤ شعار (يالثاراا الحسين)
٨٥ تطور التنفيذ العملي لفكرة ثارات الحسين ؑ
٨٦ الاسلوب الاول: ثورة التوابين
٨٩ الاسلوب الثاني: ثورة المختار
٩١ الاسلوب الثالث: ثورة زيد بن علي
٩٢ ثانياً: تحقيق العدل الاجتماعي
٩٢ اولاً: الاعتماد على البيت الاموي في الحكم
٩٥ ثانياً: حرمان اصحاب الكفاءاا المخلصاا من فرص العمل
٩٦ ثالثاً: بث التفرقة والصراع بين القبائل العربية
٩٨ رابعاً: تمزيق المجتمع الاسلامي الى طبقات متفاوتة
١٠٠ خامساً: تكثيف الضرائب المالية
١٠٢ ثالثاً: الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

- ١- الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٠٣ .
٢- روايات الجهاد بالسلاح ١٠٧ .
اولاً: اذن الامام في الثورة ١١٣ .
ثانياً: مؤهلات قائد الثورة ١١٧ .

الفصل الرابع

- ١١٩ وقائع الثورة

الفصل الخامس

- ١٢٩ عوامل فشل الثورة

- اولاً: قوة النظام الاموي ١٣١ .
ثانياً: إجراءات النظام ضد الثورة ١٣٣ .

الفصل السادس

- ١٤٩ تقييم الثورة

- اولاً: تعميق صلة الامة باهل البيت ١٥٤ .
ثانياً: لقاء الضوء على حقيقة البيت الاموي ١٥٦ .
ثالثاً: اذكاء روح الثورة في الامة ١٥٧ .

الفصل السابع

١٥٩ الثورة عند اهل البيت عليهم السلام

القسم الاول

١٦١ نظرية قيادة الامام عليه السلام

- البحث الاول: تولي السلطة: وظيفة شرعية ١٦٥
- البحث الثاني: الامامة وظيفه الامام في المجتمع الاسلامي ١٦٩
- اولاً: صفات الامام ١٦٩
- ثانياً: كشف الولاء للامام ١٨٠
- ثالثاً: طاعة الامام ١٨٠
- رابعاً: الانفصال عن ائمة الجور ١٨١
- اولاً: كشف انحراف السلطة ١٨٤
- ثانياً: حفظ اصول الاسلام ١٨٥
- ثالثاً: قيادة المجتمع الاسلامي ١٨٦
- رابعاً: توسيع دائرة الولاء للامام ١٨٨

القسم الثاني

- ١٨٩ موقف الامام الصادق عليه السلام من ثورة زيد بن علي (رضي)
- ١٩١ البحث الاول: موقف زيد بن علي (رضي) من الباقر والصادق عليهما السلام
- ١٩٩ البحث الثاني: موقف الامام الصادق من زيد بن علي (رضي)
- ٢٠٥ مصادر الكتاب

To: www.al-mostafa.com